

جامعة بغداد
كلية التربية للعلوم الصرفة (ابن الهيثم)
قسم الرياضيات
المرحلة الأولى

مادة أسس التربية

م.م. دعاء سعد

٢٠٢٢ - ٢٠٢١

معنى التربية

يتباين معنى التربية ومفهومها تبعاً لتباين واختلاف طبيعة الدراسات النفسية والاجتماعية في نظرتها للفرد والمجتمع. وكذلك يختلف معناها باختلاف المذاهب الفلسفية والأطر النظرية التي في ضوءها يتم تحديد وتعريف ما يقصد منها. كما إنها أخذت مفاهيم متعددة ومتنوعة في الحقب الزمنية المتعاقبة.

ولو رجعنا إلى معنى كلمة (تربية) في اللغة: لوجدناه يشير إلى الزيادة والتوسع والنمو كما يشير أيضاً إلى السمو والارتفاع. وهذا يعني من وجهة النظر الاجتماعية زيادة مدارك الأفراد وتوسيعها من خلال اكتسابهم للعادات وللصفات المرغوبة اجتماعياً وللخبرات والمهارات الضرورية لاستمرارهم.

ومن خلال استعراض التعريفات المختلفة للتربية، يتبين إن هناك عدم اتفاق على تعريف واحد محدد لها.

ف " ليتري " Litre يعرف التربية بأنها (العمل الذي نقوم به لتنشئة طفل أو شاب، وإنها مجموعة من العادات الفكرية أو اليدوية التي تكتسب ومجموعة من الصفات الخلقية التي تنمو).

وهي من وجهة نظر " هاربرت " **Herbart** موضوع علم يجعل غايته تكوين الفرد من أجل ذاته، بأن نوظف فيه ضروب ميوله الكثيرة.

وهي عند **وليم جيمس William James** مادة فن (تكتسب في الصف عن طريق ضرب من الحدس وعن طريق الملاحظة التعاطفية للوقائع ولمعطيات الواقع) . أما **دوركهايم Durkheim** فيرى فيها تكوين الأفراد تكويناً اجتماعياً.

أما **جيمس ميل James Mill** فيرى إن موضوع التربية هو (أن نجعل من الفرد أداة سعادة لنفسه ولغيره) .

ويصف عالم النفس **هنري جولي Henri Joly** التربية بأنها: (مجموعة الجهود التي تهدف إلى أن نيسر للفرد الامتلاك الكامل لمختلف ملكاته وحسن استخدامها) .

لقد فهمت التربية بأنها عملية تقتصر على تلقين المعلومات للمتعلمين في مواد مختلفة وكلما حصل المتعلمون على معلومات كثيرة ارتفع مستوى تربيتهم، فالمعيار الوحيد لتربية الفرد هو مقدار المعارف التي تعلمها، بغض النظر عن أهميتها للفرد ولمجتمعه. وهناك من المربين من حصر عملية تلقين المعلومات هذه بالمؤسسات والمعاهد التي أوجدها المجتمع لهذا الغرض.

لقد أشار (فرويل) إلى إن التربية هي " عملية تتفتح بها قابلية المتعلم الكامنة. كما تتفتح النباتات والأزهار. أي إن الطفل مجموعة من القابليات وما وظيفة التربية إلا العمل في سبيل تفتح هذه القابليات ونموها " .

وقد تأثر بعض المربين برأي (أفلاطون) ودعا إلى نظرية الترويض العقلي وخلصتها: " إن عقل الانسان يروض كما يروض جسمه. فكما إن عضلات الجسم تتقوى بالحركات الرياضية المجهدّة، كذلك فإن ملكات العقل تتقوى بدراسة المواد الصعبة، وكلما ازدادت المادة صعوبة ازدادت فائدتها في ترويض العقل " .

ويحدثنا " جون ديوي John Dewey " عن التربية من الناحية النوعية فيقول بأنها: " مجموعة من العمليات التي يستطيع بها مجتمع أو زمرة اجتماعية، صغرت أو كبرت، أن ينقل سلطاتهما وأهدافهما المكتسبة بغية تأمين وجودهما الخاص ونموهما المستمر " . ويضيف ديوي قوله: وإذا نظرنا إلى التربية من وجهة نظر المراهقين الذين سيصبحون في المستقبل القريب أعضاء في المجتمع، أمكننا أن نعرفها بأنها التنظيم المستمر والدائم للخبرة الذي يهدف إلى توسيع وتعميق المحتوى الاجتماعي للخبرة، في الوقت الذي يهضم الفرد ويتمثل الوسائل الملائمة لذلك .

وجهة النظر الحديثة للتربية

إن التربية من وجهة النظر الحديثة تعني عملية التفاعل المستمر التي تتضمن مختلف أنواع النشاط المؤثرة سلباً وإيجاباً في الفرد والتي تعمل على توجيهه في الحياة الجيدة التي تحدد بوساطتها أساليب معيشتة، وطرق تكيفه مع البيئة الطبيعية والاجتماعية التي يعيش فيها ، وحيث إن الانسان يعيش في مجتمع له عاداته وتقاليده وقيمه التي يعتز بها، وإن هذا المجتمع يحيا في بيئة طبيعية لها خصائصها المعروفة والمحددة، فواجب التربية اذن أن تعمل على تنمية الانسان وتطويره والكشف عن طاقاته وقدراته وامكانياته وتوسيع مداركه بمختلف الوسائل المتاحة، لكي يتمكن من أخذ دوره في المجتمع الذي ينتمي اليه بشكل إيجابي وفعال .

ومن هذا المنطلق فالتربية هي " عملية تكيف ما بين المتعلم وبيئته " وهي بهذا المعنى تعني النمو والتغير في الانسان، لكي يتمكن من مواجهة الظروف والعوامل البيئية، ويكون بمقدوره التعامل معها بأسلوب يخدمه ويخدم أفراد مجتمعه .

ولدى تدقيقنا في التعريفات والمفاهيم التي أشرنا اليها، نجدتها تقصر مهمة التربية على الانسان، وتعتبرها عملاً يمارسه كائن في كائن آخر، وبالتحديد عمل يمارسه شخص راشد في صغير، وإن هذا العمل موجه نحو هدف ينبغي الوصول اليه وتحقيقه، يتلخص في اكتساب بعض

الاستعدادات العامة التي تساعد على تيسير عملية التكيف مع البيئة التي يعيش فيها الكائن البشري.

إن مشاركة الانسان في الحياة الاجتماعية، بالطريقة المباشرة أو غير المباشرة، تعتبر تربية بحد ذاتها، ونتيجة لاستمرار هذه المشاركة واتصالها تتشكل لدى الفرد اتجاهاته وعاداته وقيمه الخلقية والفكرية والاجتماعية.

من هذا نخلص إلى القول بأن تحديد معنى التربية يتوقف على الزاوية التي نطل منها عليها. فإذا نظرنا إليها من حيث كونها عملية تكتسب فيها صغار الكائنات الحية -غير النباتية- من كبارها أساليب العيش والتكيف للظروف البيئية عن طريق الاشتراك الفعلي في الحياة اليومية المعتادة، أصبحت التربية تنتشر بين الانسان وسائر الحيوانات على حد سواء. ولكن للحياة جانباً آخر ينفرد به الجنس البشري وحده ألا وهو الجانب الاجتماعي. فالتربية إذن هي: " صناعة الكائن صناعة اجتماعية وادخاله في المجتمع من الوجهة الصناعية الفنية والوجهة الروحية في آن واحد، ولا يمكن أن يكون للتربية غير هذه الصفة لأن الانسان لا يمكن أن يعيش في غير الحال الاجتماعية، فلا تربية بلا مجتمع، ولا مجتمع بدون تربية، ولكي ينجح المجتمع ينبغي عليه أن ينقل إلى الناشئين ارثه من المعارف والتجارب والعادات المادية والروحية.

إن التربية ضرورة اجتماعية، وهي حتمية الحدوث نظراً لكن الانسان يعيش في مجتمع معروف، تصبح نتيجة لذلك- عملية تنشئة اجتماعية وتصبح من جانب المتعلم جميع الآثار التي يتركها المجتمع في سلوك الفرد وتصرفاته في المواقف الاجتماعية المختلفة.

والتربية بالمعنى المشار اليه قديمة قدم المجتمع، فالإنسان في المجتمع البدائي كان ينقل معارفه البسيطة ومهاراته البدائية إلى صغاره عن طريق المشاركة الفعلية، لا عن طريق التعليم المدرسي بالمعنى المألوف، لانعدامه عنده، وذلك لعدم حاجته اليه. ولكن بتعدد الحياة الاجتماعية، وتراكم التراث الاجتماعي وازدهار المعارف الإنسانية تعذر على المجتمع أن ينقل ما لديه من معارف بأسلوب المشاركة المباشرة في الحياة اليومية، لأن تلك المعارف دونت هي الأخرى برموز غير مألوفة لدى الانسان البدائي. وبهذا فقد ظهرت الحاجة إلى المدرسة كمؤسسة تربوية اجتماعية تأخذ على عاتقها تربية أبناء المجتمع وفقاً للأهداف والآمال والطموحات التي يسعى ذلك المجتمع إلى تحقيقها في ضوء الاطار الفلسفي والسياسة التربوية العامة لها.

أهمية دراسة اسس التربية للعاملين في المجال التربوي:

إنّ على كل من يخوض في غمار التربية ويعمل بالحقل التربوي ان يمتلك معرفة كافية بتاريخ التربية وتطورها وتطور مفهومها عبر العصور التاريخية الطويلة، وذلك لأن فهم معنى التربية ومتابعة مراحل التطور التي مر به منذ اقدم العصور وحتى الوقت الحاضر مما يساعد على تكوين اطار نظري لدى المربين يستند الى الأسس التاريخية للنظريات التربوية المختلفة، وان الفائدة من دراسة الأصول التاريخية يساعد العملية التربوية في الوقوف على:
١. معرفة ما ورثته الأمة من الماضي وما اعدته للحاضر وكيف تخطط للمستقبل .

٢. التمكن من مواجهة المشكلات التربوية المختلفة في ضوء معالجة المشكلات القديمة المماثلة.

٣. دراسة المفاهيم التربوية التي كانت متبعة قديماً والنظر في نتائجها.

٤. لا يكتمل إعداد الطالب في كليات التربية بدون التعرف على تاريخ النظريات والأفكار التربوية عبر العصور، ودراسة أمور التعليم في بلده وفي غيرها من بلاد العالم، والقوى المؤثرة في تشكيلها وتوجيهها.

كما وان دراسة تاريخ التربية يعد مهماً للتربية المعاصرة، وذلك لأنها تظهر حركة المجتمع وتفاعلاته وتأثيره على التربية، فالكثير من المشكلات المعاصرة لا يمكن فهمها الا في ضوء دراسة العوامل والقوى التي اثرت فيها في الماضي.

ان معرفة تاريخ التربية لا ينحصر بما دونه المؤرخون، لأن تطور التربية وتاريخها الطويل لا نهاية له وانما يتعدى الآف الكتب والمجلدات كونه وجد قبل وجود الكتابة ولكون العملية التربوية مستمرة مع الحياة الانسانية.

الأساس التاريخي للتربية

مقدمة في تطور مفهوم التربية:

وجدت التربية بمفهومها العام بوجود الحياة، فمنذ نشأة الانسان على هذا الكوكب أخذ كيف نفسه للطبيعة أولاً ثم بدأت تدريجياً يسخر الطبيعة لأغراضه الخاصة. ففي خلال آلاف السنين قبل الميلاد وقبل أن ت اخترع الكتابة كانت العادات والمعتقدات والقصص تنتقل من جيل إلى آخر عن طريق حفظها وترديدها.

ونتيجة لتراكم التراث الاجتماعي فقد استطاع الانسان أن يتعلم شيئاً فشيئاً كيفية مضاعفة قواه في الاتصال وتنظيم المجتمع الذي ينتمي اليه وذلك عن طريق اللغة والعادات والقوانين واستطاع أيضاً توسيع نظرتة للكون من خلال اكتشافه وابتكاره لوسائل مناسبة في التنقل والسفر. " وكان لعملية التطور الابداعي الخلاق لطموحاته وتصوراتة التي عبر عنها بالفن والأدب والدين أثر في ارتقائه العالي وان تصوراته عن كيفية حدوث هذا التعليم و إمكانية تحقيقه ونقله شكلت تاريخ الفكر التربوي ".

لقد ارتبطت عمليات التفكير عند الانسان ارتباطاً وثيقاً بعلاقاته البيئية وبذلك فان تركيز الرجل البدائي لا يتعدى نطاق طعامه وأمنه، " وإن ما يهتم به الرجل البدائي لا يخرج عن اشباع حاجاته اليومية المباشرة ورغبته في اخضاع القوى التي تقف بينه وبين هذا الاشباع، ولذلك فقد تفتحت قواه الإدراكية الحسية، أما قواه التفكيرية فتأخرت. وهو يشعر تماماً ببيئته الحاضرة والمباشرة، وتربيته لا تعدو أن تكون إعدادة لهذه البيئة دون أن تكون هناك أية محاولة للتأثير في المستقبل البعيد أو ضبطه أو للانتفاع بتجارب الماضي ".

ولكن بتطور الحضارة الانسانية واحتكاك المجتمعات ببعضها البعض، أخذت آفاق الانسان بالتوسع، وعندما تحققت المدنية، حدث التقدم في الافكار المتعلقة بالتربية. " لقد حدث التربية

منذ فترة طويلة، وقبل أن يفكر بها أي شخص و فكر الناس بالتربية منذ زمن طويل، وقبل أن يكتب عنها أي فرد وكتب الناس عنها قبل أن تكون هناك مشكلة تربوية " .
إن أهم ما اتسمت به التربية في المجتمعات البدائية هو امتيازها بالبساطة وخلوها من كل تعقيد، إذ كانت تتم بصورة عفوية تلقائية لا شعورية، تتمثل في تقليد الصغار للعادات السائدة في مجتمعهم والتدريب بصورة تدريجية على الأعمال والنشاطات التي يقوم بها الكبار كالصيد والحياسة وصناعة الأدوات ورعي الماشية والزراعة والتدريب على الأعمال الحربية والأعمال المنزلية. وبدون شك فإن هذه الممارسات تتطلب قدراً من التربية العقلية والخلقية حتى يتمكن النشئ الجديد من مواصلة بقائه واستمراره في الحياة مع أبناء قبيلته.
لقد كان اهتمام الإنسان البدائي منصباً بالدرجة الأولى على الأشياء المباشرة الضرورية لبقائه، مثل كيفية اشباع جوعه وحماية نفسه من العوامل الجوية وتجنب الأذى. وكان معظم نشاطه قائماً على المستوى الغريزي.

غرض التربية في المجتمعات البدائية:

وكان غرض التربية في المجتمعات البدائية هو احداث توافق وانسجام بين الفرد وبيئته المادية والروحية وذلك بوسائل ثابتة وطرائق معينة في القيام بالأعمال سواء أكان ذلك في حالة العمل المصلحي أو في حالة العبادة.
ونظراً لكون المشكلة الرئيسة الذي يعاني منها انسان ما قبل التاريخ تكمن في كيفية المحافظة على نفسه وحمايتها وافراد عائلته من القوى الطبيعية المدمرة، ومن اعداءه (الانسان والحيوان) فقد كان الأمن هو الهدف الأساسي للتربية البدائية. فالنار والرعد والبرق والعاصفة والموت، جميعها يمكن اعتبارها عوامل بثت في قلب الانسان البدائي وزرعت في عقله مشاعر الخوف والرغبة، واثارت لديه فكرة العمل على التخلص من اخطارها وترسيخ هذه الفكرة لدى صغاره. ولما كان التكيف مع ظروف البيئة مطلباً ضرورياً للأمن الاجتماعي، فقد أصبح هذا هدفاً آخر من أهداف التربية البدائية. ذلك إن الخطر العام المحيط بالمجتمعات البدائية أدى إلى أن يعيش الناس على هيئة عوائل وقبائل، فجاءت نتيجة لذلك المشكلة العريقة للحياة الاجتماعية المتمثلة بالتكيف. فانسجام الفرد مع جماعته يشكل الجزء الأساسي لتربيته، ولذا فإن من الضروري للإنسان أن يتكيف مع الآخرين بغية الحصول على الأمن لنفسه ولعائلته وجماعته التي ينتمي إليها. ومن هنا جاء التأكيد منصباً على الولاء القبلي بصورة أكثر من الولاء الفردي.

انماط التربية البدائية

تألفت التربية البدائية من نمطين رئيسيين هما:

١. التربية العملية التي تنسب إلى عالم المرئيات أو المحسوسات.
 ٢. التربية النظرية التي تعود الى عالم الغيبيات.
- وقد تضمنت التربية العملية مهمة الاعداد الضروري للحصول على ضروريات الحياة العملية وذلك من خلال التدريب المنزلي والعسكري والبدني والمهني والخلقي، وبتحرر هذه الأنماط

من المنظور البدائي للتكيف الثابت مع البيئة، أصبحت أساساً لعلم الاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم السياسة وعلم الأخلاق.
أما التربية النظرية فإنها شملت كلاً من التعلم الديني والأدبي والموسيقي والفني والطبي والعقلي، وشكلت هذه الأنماط البدائية أسس الدين والفنون والطب والعلوم والفلسفة. وكان لأنواع التعلم هذه اتصال وثيق بما يسمى بـ " فعاليات العبادة التي تتعلق بالجوانب الروحية أو المجردة لحياة الانسان ".

مضمون التربية البدائية

كان يشتمل على ثلاث عمليات هي:

١. التربية الجسدية أو التدريب البدني: نظراً لكونه ضروري لإرضاء الدوافع الأولية المتعلقة بالطعام والمأوى والملبس. وقد تركت الأقوام البدائية لأطفالها مجالاً واسعاً للحرية، التي يستفيدون منها في الركون إلى الكثير من الألعاب المسلية. ومن العابهم المفضلة أن يقلدوا أعمال الكبار ويتدربوا عليها منذ نعومة أظفارهم. وبذلك فإن هذه الألعاب تعد الأطفال وتؤهلهم للمشاركة في الحياة الفعلية وتسهم بصورة فعالة في تكوينهم العقلي والفكري، عن طريق شحذ قابلياتهم في الملاحظة والابداع والتصور، مما يساعدهم ويمكنهم من العيش بسلام في الجماعات التي ينتمون إليها، وعلى المساهمة الايجابية المثمرة في النشاطات المختلفة، عندما يبلغون السن المحددة للقيام بهذه النشاطات.

٢. التربية الخلقية والدينية أو التدريب الروحي: الذي اعتبر ضروري لأنه يسترضي العالم الغيبي عن نفس الشخص وعائلته. وكانت التربية الخلقية تتم بصورة عفوية ودون ما اكراه. واعتقد الرجل البدائي بأن العقاب البدني مهين وإن الافراط في تقييع الطفل أو ضربه يجعل روحه قلقة في جسده، ميالة إلى الانفصال عنه.

لقد حرص البدائيون يون على نقل بعض المبادئ السلوكية المرغوبة إلى أبنائهم، وغالباً ما اتصلت أوامرهم بتقديس الأجداد واحترام الشيوخ والآباء بقلوب ملؤها الصدق والوفاء والطاعة، وكانت السمة المميزة والغالبة لهذا النوع من التربية هي الجانب الروحي الذي يبدو بصورة واضحة في التعاليم والطقوس الدينية التي يمارسونها.

٣. التربية الفكرية أو المعرفة الاجتماعية للعادات والمحرمات والتحفظات: والتي تكون ضرورية للحياة الاجتماعية المتألفة.

ويغلب على هذا النوع من التربية الطابع العملي، إذ كان الهدف منها تمكين الطفل من أن يكون قادراً على اشباع حاجاته أولاً، وتلبية حاجات أسرته فيما بعد. وهذه التربية تختلف تبعاً لاختلاف الجنس، ولنمط الحياة في القبيلة. فكان الأطفال الذكور يتعلمون صيد الحيوانات والقتال وإعداد أدواته، واقتفاء أثر الحيوانات المفترسة وتسلق الأشجار، في حين كان الأطفال الإناث يتعلمن كيفية بناء الكوخ وإعداد الطعام وصناعة الملابس والاحتطاب في الغابة والعناية بالأطفال

وصنع السلال، إضافة إلى مساهمتهم في الحصاد وفي تنقية الحبوب وطحنها وخبزها. وكانت عملية التعليم هذه مناصرة بالكبار، فقد اختص الرجل البدائي بتعليم الأطفال الذكور الحرف الملائمة لهم، واختصت المرأة بتعليم الاناث من الأطفال الأعمال المخصصة لهن. ولم تخرج التربية في هذه المرحلة عن كونها عملية تقليد لا شعوري تلقائي.

إن معظم أنواع التربية في المجتمعات البدائية، كانت تتم عن طريق الملاحظة والتقليد والمحاولة والخطأ. ولم يكن هناك نوع من التعليم المنظم، فالرجل البدائي لم يصل قط وفي أرقى مراحل تطوره إلى القيام بعملية التربية المنظمة. ولم تخرج التربية كونها عملية إرشاد وتوجيه الفرد لممارسة عادات مجتمعه وتقاليده، وذلك عن طريق تلقينه التراث الثقافي لذلك المجتمع الذي يعيش فيه.

ولم تظهر طريقة التعليم بالشكل المعروف إلا بعد ان تجاوزت البشرية مراحل الهمجية إلى المرحلة الثقافية المعروفة بالمدنية. " ولم يظهر التعليم بمعناه المفهوم إلا بظهور طبقة معينة ذات وظيفة كهنوتية تحتم تربية طبقة مخصوصة وتلقيها التعاليم الدينية ". إذ بتكون هذه الطبقة ظهرت لأول مرة في التاريخ جماعة اختصت بشؤون التربية.

ويمكننا أن نلمس هذا التقدم التربوي في حياة الانسانية في الامور التالية:

١. ظهور طبقة المعلمين.
 ٢. تحديد مادة الدراسة.
 ٣. ظهور اللغة والادب كأساس لعملية التربية.
- وكان أول نشأة للمدارس أيام قدماء المصريين وأيام الكلدانيين، فقد ظهرت المكتشفات الحديثة في العراق بعض كراسات للتلاميذ استخدموها في السامرة حوالي عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد. كما وجدت كتابات تحوي اسفارا وملاحم وأساطير و تسابيح.
- وجدت آثار في مصر تدل على إن المصريين القدم تعلموا القراءة والكتابة واستخدموها في الادب الرياضيات والفلك والمعاملات، وكانت لديهم مدارس بعضها خاصة، بينما الاخرى تدار في المعابد والقصور وذلك في عام ٣٥٠٠ قبل الميلاد.
- واهتم اليونانيون بالتربية اهتماماً كبيراً وكان ذلك واضحاً في نظم التربية التي استخدموها في تربية اطفالهم وتعليمهم وفق مناهج تعليمية منظمة، وبصورة عامة فقد انقسمت التربية إلى نوعين هما: التربية الاسبارطية التي ركزت على الجانب العسكري الصرف، والتربية الاثينية التي وازنت بين الجانبين العقلي والجسمي في مناهجها التربوية.
- واتسمت التربية العربية الاسلامية بطابع متميز، حيث استمدت مبادئها وأهدافها من تراث الامة وتعاليم السماء، فأنتجت حضارة زاخرة بالمعارف والعلوم وانجبت علماء أعلام في شتى الميادين، وضعوا نظريات عديدة في الطب والفلسفة والعلوم الطبيعية والفن واللغة والأدب وغيرها. وكانت هذه النظريات والعلوم بحث وتمحيص ومناقشة ومازال العديد من الباحثين يعتمدون عليها في دراساتهم بغية الوقوف على الحقيقة التي يهدفون إلى معرفتها وتوكيدها.
- وفي العصور الوسطى ظهر نوع من التعليم، اقتصر على أبناء التجار والحرفيين وأبناء الطبقة الارستقراطية وحرمت غالبية الجماهير من حقها في التعلم. وقد ساهمت النقابات الحرفية في تقديم كل أنواع التدريب المهني. وفي نهاية هذه العصور كان الاهتمام المحلي عظيمًا بالتعليم، فقد كان كل مجتمع ثري يفخر بتأسيس المدارس كما خصصوا أموالاً للمنح الدراسية للعديد من

الطلبة الذين كان مقدراً لهم الجهل. بيد إن هذا العدد من الطلبة الفقراء لا يشكل سوى نسبة ضئيلة جداً مقارنة بمجتمع الاميين الذين حرّمهم الأغنياء فرصة التعلم هذه. وعندما قامت الثورة الصناعية وما صاحبها من تغيير في العلاقات الاقتصادية والاجتماعية إذ كانت المجتمعات الاوروبية تعاني من ظروف وأوضاع سيئة لا سيما بالنسبة للأطفال، فقد أدى هذا الأمر إلى سن القوانين وتشريع الأنظمة التي تحدد ساعات العمل وتتيح فرص الدراسة والتعلم للأطفال وتؤكد على ضرورة منح الأطفال قدراً كافياً من التعليم وكان نتيجة ذلك انتشرت المدارس ذات الدوام غير الكامل إذ كان الصبي يقوم بأداء عمله في المعمل ويخصص له الوقت المناسب للذهاب إلى المدرسة. وفي مطلع القرن التاسع عشر الذي تميز بالتقدم العلمي والنهضة العلمية فقد انتشرت المدارس وفتحت أبوابها للراغبين في التعلم وبشكل عام. وتطور نتيجة لذلك التعليم وتنوعت أساليبه ووسائله وظهرت أنواع مختلفة من المدارس. وهكذا تغيرت النظرة نحو المدرسة من مكان معد للتعلم إلى محل معد لتربية الطلبة وتوجيههم وارشادهم وإعدادهم لمواجهة مطالب الحياة وتزويدهم بالمهارات والخبرات التي تساعد على شق طريقهم في الحياة الاجتماعية بما يضمن لهم ولمجتمعهم حياة سعيدة وكريمة.

الفصل الثاني

التربية في بعض الحضارات القديمة

١. التربية والتعليم في وادي الرافدين القديم:

أول حضارة عرفتها البشرية في بلاد الرافدين تلك الحضارة التي تقف إلى اليوم بكل شموخ وتحدي بكل ما ملكت من علوم شتى في المجالات المختلفة وبكل ما خلّدت لنا من تاريخ حافل بالإنجازات والتجارب والسنن والقوانين أمام التطور المستمر في العالم الآن.

بعد إن قضى الانسان حوالي مليون سنة من حياة التوحش والهمجية، دخلت البشرية في طور الحضارة الناضجة وقد تحقق ذلك لأول مرة في تاريخ الانسان بانتقال وادي الرافدين ووادي النيل من عصور ما قبل التاريخ إلى حياة التحضر والمدنية كظهور المدن والكتابة والتدوين والقوانين والفنون والآداب والطقوس الدينية وأسس العلوم وأجهزه الري والزراعة.

ويجمع الباحثون من مؤرخي الحضارة على إن أقدم الحضارات هي حضارتا وادي الرافدين ووادي النيل قبل حضارة اليونان والرومان بعشرات القرون.

لعب العراق دوراً حضارياً مرموقاً، ففي بلادنا الحبيبة ظهرت لأول مرة مراكز حضارية زاهية تمتد جذورها إلى عصر المعرفة والتعليم في فجر التاريخ في سومر وأكد. فقد ظلت ثقافة سومر

مزهرة باستمرار علي مدى يقرب من ٣٠٠٠ سنة ولم تنحسر وتتكلم تلك الحضارة إلا في منتصف القرن السادس في عصر الاخمينيين، ثم تلاشت في نهاية العصر الاسكندري السلوقي.

وعدت حضارة العراق القديم منذ عهد السومريين والأكديين ومن تلاهم تنمو وتتطور بانتظام حتى شعت بنورها ونفوذها إلى القرون التالية وقد امتد هذا الشعاع إلى خارج الرقعة الجغرافية حتى شملت جميع الجهات المحيطة بالعراق القديم. لقد وضعت حضارة وادي الرافدين أسس علم الفلك، وعلم التنجيم وقياس الزوايا واستخدام الأقواس، واخترع العربات، واخترع الكتابة المسمارية وغيرها، ان الانسان في هذه المنطقة كما يقول المؤرخون سبق الناس كلهم في جميع المجالات منها:

١. أول من تفاهم بالكلمة المكتوبة وتلك أعظم خطوة خطاها البشر في طريق الحضارة
٢. انشأ إنسان وادي الرافدين أول مدرسة فكان هناك أول تلميذ وأول معلم وأول كتاب مدرسي وأول قاموس وأول مكتبة.

وكان السومريون أيضاً فلاحين مهرة فصنعوا المعازق الجديدة والمحاريث وطوروا فنون البذار والزراعة، فضلاً عن ابتكار الكتابة المسمارية، و ابتكار النوتات الموسيقية و بعض الآلات الوترية الاولى في تاريخ البشرية.

وفي مجال القانون كان سكان وادي الرافدين سباقين في القوانين المدونة لتنظيم الحياة الاجتماعية ولعل أشهرها قانون حمورابي نحو ١٧٥٠ قبل الميلاد وما سبقه من قوانين مثل مجموعة قوانين اورنمو نحو ٢١٠٠ قبل الميلاد.

٢. الأدب والتعليم في وادي الرافدين:

(أ) الأدب

كان لأكتشاف الكتابة اثر كبير في تطور الفكر لدى سكان بلاد الرافدين ونتج عن هذا التطور الادب وقد انفردت به حضارة بلاد الرافدين عن غيرهم من الحضارات القديمة بل ان تلك الحضارات أخذت وتأثرت بأدب بلاد الرافدين ولقد خلقوا لنا تركه ضخمة مدونة على رقم طينية في اللغة السومرية والاكديّة من مختلف الأصناف الادبية.

كان الادب في بدايته يتناقل شفويّاً ويتلى على عامة الناس قبل اختراع الكتابة وبعد اختراع الكتابة ومراحل تطورها ادى بذلك الى تحرير النصوص الادبية على الرقم الطينية وبدأ ينتقل من جيل إلى جيل، أن اقدم نص ادبي تم العثور عليه لحد الآن هو نص سومري مدون على اسطوانة طينية مقسم إلى عشرين عمود يتعلق هذا النص الادبي بالاله (أنليل) والالهة (نخورساك) وايضاً يرد ذكر لبعض الالهة والجدير بالذكر إن المفردات والمصطلحات والاسلوب لهذا النص يشبه النماذج الادبية السومرية اللاحقة مما يدل على ان التطور والتواصل مستمرين للحركة الادبية في بلاد الرافدين، ازدهر الادب في العصور السومرية ودليل على ذلك القصص والاساطير التي تعود الى هذا العصر واستمر هذا الازدهار وصولاً الى العصر السومري الحديث وهو ما يرويه كثرة

النصوص الأدبية أما في العصر البابلي القديم فقد كانت هناك حركة كبيرة من التأليف والتدوين باللغة السومرية والأكديّة وتم ترجمة الكثير من النصوص الأدبية السومرية الى اللغة الأكديّة بفرعها البابلي وفي العصر البابلي الوسيط (الكاشي) فقد حدث في هذا العصر انتعاش ادبي ملحوظ من حيث التدوين والاستنساخ و احياء التراث القديم على الرغم من ان الكاشيون هم اقوام متكلمين بغير لغة لكنهم تأثروا باللغة والادب الرافديني أما في العصر الاشوري الحديث فقد اسهم ملوكهم في تدوين النصوص الأدبية ومثال على ذلك ما فعله الملك اشور بانيبال.

❖ المواضيع التي تناولها الأدب:

١. قصص الخليفة واصل الوجود .
٢. أدب البطولة والملاحم.
٣. قصص الطوفان.
٤. اساطير مابعد الموت والعالم السفلي .
٥. أدب الحكمة .
٦. أدب السخرية والفكاهة.
٧. أدب المناظرة والحوار .
٨. أدب الحب والغزل .
٩. أدب الرثاء.
١٠. الصلوات والتراتيل والابتهالات والادعية.
١١. الرقى والتعاويذ .

❖ للأدب الرافديني عدة خصائص يتميز بها ومنها:

- 1 -قدم أدب حضارة بلاد الرافدين .
- 2 -أصالة الأدب.
- 3 -الازدواج اللغوي في الأدب .
- 4 -تأثير أدب حضارة بلاد الرافدين على الحضارات الاخرى.
- 5 -كثرة عدد النصوص الأدبية مقارنة بالنصوص الاخرى غير الاقتصادية.
- 6 -أسلوب التكرار والإعادة .

(ب) ملحمة كلجامش

هي مَلْحَمَة شِعْرِيَّة من آداب بلاد الرافدين، تُعدّ أقدم الأعمال الأدبية العظيمة ومن أقدم النُصُوص الدينية المُتَبَقِيَّة من تلك الفترة. يبدأ التاريخ الأدبي لملحمة جلجامش بخمس قصائد باللغة السومرية عن (بلجاميش) (وهي الكلمة السومرية لجلجاميش) ملك الوركاء، يعود تاريخ القصائد إلى عصر سلالة أور الثالثة حوالي ٢١٠٠ ق. م. استُخدمت هذه القصص المنقرقة فيما بعد كمصدر مرجعي لقصيدة ملحمية مجمّعة في اللغة الأكديّة.

يصفها مؤرخون الآداب المحدثون بأنها بين شوامخ الأدب العالمي ويقول الاستاذ لاندز برجر "ولعلني لا ابالغ إذا قلت انه لولم يأتنا من حضارة وادي الرافدين من منجزاتها وعلومها وفنونها شيء سوى هذه الملحمة وكانت جديرة بأن تتبوأ تلك الحضارات مكانة سامية بين

الحضارات العالمية القديمة". ويضيف "إن ملحمة كلكامش أقدم نوع من أدب الملاحم البطولية، في تاريخ جميع الحضارات، لهذا فهي أطول وأكمل ملحمة عرفتتها حضارات العالم وليس ما يقرن بها أو ما يضاهاها من آداب الحضارات القديمة قبل الألياذة والأوديسة في الأدب اليوناني. ويشير المؤلف إلى (البحث المهم للاستاذ لاندز برجر المنشور في خلاصة أبحاث المستشرقين من جماعة (ثورودانجان) في المؤتمر السابع المنعقد بباريس (١٩٥٨).

دونت الملحمة قبل ٤٠٠٠ عام وترجع حوادثها إلى أزمان أبعد. وهي ذات جاذبية انسانية خالدة في جميع الأزمان والامكنة، لأن القضايا التي أثارتهآ وعالجتها لا تزال تشغل بال الانسان وتفكيره وتؤثر في حياته العاطفية والفكرية مما يجعل موافقها مثيرة تأسر القلوب مثل مشكلة الحياة والموت وما بعد الموت والخلود. ومثلت تمثيلاً بارعاً مؤثراً ذلك الصراع الازلي بين الموت والفناء المقدرين وبين ارادة الانسان المغلوبة المقهورة في محاولتها التشبث بالوجود والبقاء والسعي وراء وسيلة للخلود.

وأظهرت حتمية الموت على البشر حتى بالنسبة إلى بطل مثل كلكامش الذي كان ثلثاه من مادة الآلهة وثلثه الباقي من مادة البشر الفانية. لأن الآلهة استأثرت بالحياة وقدرت الموت من نصيب البشرية.

وعالجت الملحمة قضية اخلاقية كبرى هل يسلك سبيل اللذة أم يقبل تحدي قانون الحياة والطبيعة فيضبط زمام النفس ويقوم بالأعمال التي تخلده بعد حياته، وهو موضوع الملحمة الأساس والذكر للإنسان عمر ثان، فيلقت كلكامش إلى نفسه وعائلته وترك التفكير بالموت. وكان أثر الملحمة كبيراً ليس على العراق ووسطه (بلاد سومر وأكد) بل إلى القسم الشمالي (بلاد آشور). ووجدت نسخ منها في أدوار ازدهار الحضارة البابلية، وهناك نسخ كثيرة في الأناضول، وفلسطين القديمة. إن ملحمة كلكامش كانت مدرسة ليس للعراقيين حسب، وإنما لمنطقة الشرق الأوسط المعروفة اذ ذاك، فانظر هذا المقطع من الملحمة:

قالت (سابيتم) (صاحبة الحانة) لكلكامش:

يا كلكامش أي شيء تسعى إليه؟

الحياة التي تنشد لن تجدها

حينما خلقت الآلهة البشرية

قدرت الموت على البشرية

وضبطت الحياة بأيديها

وانت كلكامش ليكن كرشك مملوءاً

وافرح ليل نهار

فلمحة كلكامش كانت مدرسة للمنطقة بأسرها علمتهم إن التشبث بالحياة أمر مستحيل فليعمل الانسان من الخير بما يخلد ذكره.

ج) التعليم:

لقد نشر التعليم في ذلك العصر وذكر بعض الملوك دخولهم المدارس طلباً للثقافة، ونقرأ في نصوص بابلية العبارة "مر ولدك بالذهاب إلى المدرسة راقب يده وساعده".

مما يدل على الرغبة في التعلم واحترام المتعلمين. ونعرف إن الطالب في المدرسة البابلية كان يأخذ دروساً في كتابة الرموز الأكديّة، فقد اكتشفت الكثير من التمارين على كتابة الرسائل. وكانت الموسيقى درساً أساسياً في مدارس هذا العهد ونستنتج من أحد النصوص، إن دراسة فن الغناء كانت جزءاً من المنهج أيضاً (ربما كانت دراسة النشيد في مدارسنا الحالية). كما كانوا يدرسون الاملاء والانشاء. وأتتنا أنواع التمارين والمسائل الهندسية كالنظرية التي عرفت في عصرنا بنظرية اقليدس المتعلقة بمساحة المثلث القائم الزاوية وكالرفع إلى القوى، والمعادلات الجبرية، واستخراج المساحات، مما يدل على تقدمهم في هذه العلوم.

د) الآثار المعمارية البارزة:

وحضارة وادي الرافدين مرموقة ليس من الجوانب الثقافية وآداب الملاحم وإنما بالعمارة. فهناك القصر الملكي لزمري -لم في ماري- وقصر سرجون الثاني الفخم وقصر آشور بانيبال في "نينوى" والحدائق المعلقة الشهيرة لنبوخذنصر في بابل.

ومدن وادي الرافدين تضم مساكن مريحة تقسمها شوارع عريضة وحدائق واسعة، وقنوات وجسور. وكل قسبة كبيرة تقريباً تتميز بالنصب التذكارية العامة والمشغل والأسواق المزدهمة والمدارس.

ومثل هذه العمارة والنصب والجسور إما أن يكون الناس قد تعلموها عن طريق المدارس أو عن طريق التلمذة، أي مصاحبة التلميذ لمعلمه. فالتعليم يتم عن طريق الممارسة العملية على أكثر احتمال لأن الرقم الطينية لا تشير إلى الطريقة التي يتبعها الناس في تعلم هذه الحرف والمهن الفنية.

تعليم المرأة:

عاشت المرأة في بلاد ما بين النهرين مراحل مختلفة في معترك الحياة، فكانت لها مكانة مرموقة لم تصل لها نظيراتها إلا بعد عناء طويل، لكنها عانت أيضاً من الظلم والتهميش لسنين طويلة، واستطاعت أن ترتقي بواقعها على مر العصور نحو التقدم، فخاضت أشواطاً مختلفة، ولعبت دوراً مركزياً، وأثرت في الحضارات المختلفة على مر الأزمان.

كانت معظم النساء في بلاد الرافدين مُتعلّقات يلتحقن بالمدارس ويتعلّمن الكتابة وعلم الحساب وعلم الفلك. أُلّفت العديد من التراتيل المكتوبة للإلهة إينانا من قِبَل نسوة، كانت

"إنخدواتاً" أبرزهن، وكان من حق المرأة الحصول على لقب "أنتو" وهو لقب خاص بالسلطة الكهنوتية.

ومن الاكتشافات الرئيسية والمثيرة للاهتمام ان كثرة من النساء في العصور البابلية كن متعلمات، ومهمات في حياة المجتمع وأعماله كما هو واضح في عقود تحمل أسماء النساء في العصور البابلية القديمة. تظهر السجلات التاريخية والمدونات الأدبية أن بعض النساء كنّ كاتبات وأديبات، بل أنّ رعاية الكتابة والتدوين أنيطت بسيدة هي الإلهة "نيسابا"، فكانت هي السيدة العارفة الملهمة. كانت بعض الترنيكات والتراتيل تُصنف من قبل النساء.

وقسم منهن أصبحن كاتبات "مساهمات في حياة المجتمع وأعماله كما هو واضح في عقود تحمل أسماء النساء وفي وثائق تجارية".

انتشار ثقافة وادي الرافدين:

- إن سطوة وادي الرافدين أدت إلى انتشار ثقافته فتبنى الحيثيون، سكان اسيا الصغرى، الخط المسماري.
- اللغة البابلية أصبحت اللغة الدبلوماسية في بلاطي سوريا ومصر لمئات السنين.
- لقد قادت بلاد الرافدين جيرانها في بناء طرق وتصميم المدن.
- التنظيم والادارة المدنية والاتفاقات و مسك الدفاتر والمحاسبة.
- العلوم العسكرية.
- المجتمع السومري كان منظماً تنظيمياً عالياً.
- المهارة في الزراعة والصناعة والفنون.

المدارس القديمة ورسالتها الثقافية

- إن الآثار داخل حوض دجلة والفرات تقدم لنا ثروة من المعلومات عن المدارس في الشرق الأوسط من نهاية العهد السومري الأكدي وهناك مؤسسات تعليمية رسمية في زمن أقدم.
 - مسح النصوص الذي يمكن إرجاعه إلى الألف الثالث تشير إلى وجود مدارس رسمية في وادي الرافدين تسبق مباشرة الأزمنة البابلية القديمة.
- وقد ظهرت مؤسسات تسعى إلى نسخ الكتابات وتعمل على تعليم الناشئة وكانت مزدهرة في طول البلاد وعرضها.

ز) المدرسة:

الكلمة السومرية التي تقابل المدرسة هي (ايدوبا) وقد ترجمت من اللهجة العامية الأكديّة بـ (بيت توبي) أي (بيت الألواح).

وقد جاء في الترنيمة الملكية إشارة إلى المدرسة: "عسى أن يقف الكاتب ليتسلم من صلاتي في ايكور (معبد الليل) في (نيبور)... عساه أن يأخذها بيده (يسجلها) على المنشد أو الراوية يكون مهيباً لها لينفذها، إنها لن تتغير أبداً في المدرسة، إنها لن تتوقف في بيت العلم.

ومن الفقرة الأولى للترنيمة الملكية توضح هوية (بيت الألواح) بوصفها (بيت الحكمة) والنص الأخير يشير إلى الالتماسات الملكية كان يتم الاحتفاظ بها بشكل قانوني بين جدران مدرسة النساخ لتدرّس من الأجيال المتعاقبة من الدارسين.

إن الاكتشافات الأثرية تمدنا بالترتيبات المتعلقة بصفوف الدراسة في بابل القديمة:

إن في المدرسة غرفاً ذوات مساحات متواضعة تكاد تنبئ عن إنها كانت أماكن للتعليم المنظم. تحتل وسطها مصطبات واطئة من الآجر، يختلف عرض كل منها من حيث الاتساع، فمنها لواحد أو لأثنين أو لأربعة من الطلاب. أما المصاطب الأقل اتساعاً فتقع بمحاذاة الجدران. وحول هذا الموضوع كانت تنتشر مجموعات من الألواح للتمرس على الكتابة.

علماً بأن هذه الكتابة السومرية، التي عدد إشاراتها (٩٠٠) فقد كانت في الألف الرابع، وإن ظهور النساخ المحترفين هي استجابة لحاجات مجتمع للاحتفاظ بالسجلات وترتيب نظم معقدة للسيطرة الإدارية.

وللكتاب ألقاب تتعلق بالجانب الذي يمارسه الكاتب وتكتب باللغتين السومرية والأكديّة تشير إلى نظام المراتب والاختصاصات ويتضمن هؤلاء كاتب العقود أو نقاش الأختام أو المساح أو المسجل العسكري أو المستشار أو أمين السر أو الكاتب العمومي المختص بجماعات العمّال.

ح) المنهج الدراسي:

إن قوائم الكلمات التي اكتشفت حديثاً، في الألواح المدرسية تشير إلى المنهج المدرسي مثل: المواقع الجغرافية، والجداول الرياضية، والأسماء الشخصية، والصيغ السحرية والتعويذات الدينية، ومجموعات الأمثال، والمصطلحات التقنية التي تخص مختلف المهن والحرف، والخرائط وعقود العمل.

والاعتزاز بالنسخ كبير حتى إن الاله هاجا وزوجته نيسابا كانا حاميين لفن النسخ.

ط) المعلمون والتلاميذ:

كان أعضاء بيوت الألواح صغاراً وكباراً معلمين وتلاميذ يُسمون أنفسهم أبناء المدارس. وكانوا يخاطبون بعضهم الزميل، أما مدير المدرسة أو (أبو المدرسة) الذي كان يلقب أيضاً بـ (الاستاذ) احتراماً له، وإذا ما ذكر فإنه يُذكر بالاحترام اللائق به، جاء في إحدى المدائح النموذجية (الاستاذ

هو الاله الذي يبني الإنسانية)، (إنك ربي حقاً إنك كوّنت الإنسانية فيّ أنا ذلك الأحمق المغرور)، وفي مدح لأحد خريجي المدرسة يبجل معلمه جاء ما يأتي:

"قاد يدي على الصلصال. أراني كيف أتصرف بتعقل. فتح فمي بالكلمات. وتلفظ بالنصائح الخيرة. وركّز عيني على القواعد التي تقود الإنسانية ليحقق المنجزات. وإذا تفضل أستاذ بزيارة بيت تلميذ فكان يقدم له مقعد الشرف".

ي) المكتبات:

إن المكتبات كانت منتشرة في كل المدن الإقليمية تقريباً وعلى مسافة متاخمة لكل مكتبة كانت توجد "مدرسة للنسخ" ملحقة بها. أما أكبر مجموعة من الألواح فكانت تتمثل في المكتبة الخاصة بـ آشور بانيبال في نينوى. فقد كان الملك مولعاً بالآثار شأن أي عالم أثري. وعازماً على أن يجمع كل المصادر الثقافية التاريخية فنظّم حملة للبحث على نطاق الإمبراطورية عن الآثار والنقوش القديمة ولا سيما في بلاد سومر وأكد. وقد عُثر على أكثر من (٢٥٠٠٠) لوحة سليمة أو محطمة في مجموعة الامبراطور آشور بانيبال.

وخلاصة ما مر نرى إن الرقم الطينية التي اكتشفت في العراق القديم (وادي الرافدين) تشير إلى ثروة من المعلومات عن المدارس في سومر وأكد وبابل. فهناك مؤسسات تعليمية رسمية في تاريخنا التربوي الوضاء. فقد شهد العراق أول مصطلح للمدارس قد تم تسجيله في وادي الرافدين في فترة تدعو إلى الدهشة، وهناك مؤسسات لنسخ الكتابات وتعمل على تعليم الناشئة وقد كانت مزدهرة في طول البلاد وعرضها.

والكلمة السومرية التي تقابل "مدرسة" هي "ايدوبا" وقد ترجمت في الأكديّة إلى "بيت الألواح" أو "بيت الحكمة"، علماً إنّ ابتكار الكتابة السومرية جرى في الألف الرابع. ثم ظهرت فئة النساخ المحترفين استجابة لحاجات المجتمع.

ومن الألواح التي تُعنى بالقضايا الاقتصادية والإدارية التي وجدت يتضح إن عدد الكتبة الذين يمارسون حرفة النسخ تجاوزوا الألوف في العهود السومرية.

التربية في حضارة مصر القديمة (وادي النيل)

حضارة وادي النيل، وتُعرف أيضا بالحضارة المصرية القديمة، وكانت من أهم الحضارات في منطقة البحر الأبيض المتوسط، واستمرت لقراءة ٣٠ قرناً من الزمن، منذ توحيدها في قرابة العام ٣١٠٠ ق.م، وحتى غزو الإسكندر الأكبر لها في العام ٣٣٢ ق.م، واعتبر نهر النيل شريان الحضارة المصرية القديمة، وكانت فيضاناته تزودها بالتربة الخصبة لزراعة المحاصيل، ويشبه شكل وادي نهر النيل زهرة اللوتس، وهو رمز الحياة الجديدة في مصر القديمة.

وتعد حضارة القدماء المصريين من أقدم الحضارات الكبرى التي ظهرت في الشرق كحضارة الصينيين والبابليين والآشوريين. وتعد الحضارة المصرية القديمة أساس الحضارة الغربية والأوربية فقد نشأت في مصر الزراعة والتجارة والمركبات وسكت النقود وكتبت خطابات الاعتماد ونشأت الحرف والصناعات والشرايع والحكومات وعلوم الرياضة والطب وطرق صرف المياه والهندسة والفلك والتقويم والساعات وعرفت الحروف الهجائية والكتابة واخترع الورق والحبر وألفت الكتب وشيدت المكتبات والمدارس ونشأت الآداب والموسيقى والنحت وهندسة البناء وصنع الخزف المطلي المصقول والأثاث الدقيق الجميل ونشأت عقيدة التوحيد ووحدة الزواج واستخدمت أدهان التجميل والحلي وفرضت ضريبة الدخل.

قامت الحضارة المصرية أساساً على الزراعة، فقد نزل المصري إلى قاع الوادي والدلتا وبدأ استقراره ومحاولاته للتعامل مع نهر النيل فنجح في تجفيف المستنقعات وبناء الجسور والقرى وبدأ في ضبط جريان مياه الفيضان من هنا أدرك المصري أهمية التعاون والترابط من أجل إقامة أسباب الحياة المستقرة والحضارة حتى توحدت مصر في عصر الدولة القديمة تحت قيادة واحدة. وكانت معرفة المصري القديم بالزراعة هي المنطلق الرئيسي لجوانب حياته المختلفة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ودينياً وثقافياً.

عرف المجتمع المصري النظام الطبقي الذي يقف على رأسه الفرعون رئيس الدولة والحكومة ثم أعضاء البلاط الملكي من رجال الدولة والكهنة والنبلاء ممن حظوا بمكانة كبيرة وبخاصة الكهنة لدى الفرعون وحتى العامة ثم كانت طبقة الضباط والجنود من يحفظوا أمن البلاد وفي قاعدة الهرم الاجتماعي تأتي الطبقة العامة من التجار والصناع والحرفيين والفلاحين والعبيد وحتى هذه الطبقة كانت تختلف ما بين التجار والصناع وكانوا أعلى مكانة من الحرفيين والفلاحين والعبيد والرعاة وهي أكثر الطبقات عملاً وأكثرها التزاماً بدفع الضرائب إلا أن رغم هذا التفاوت الطبقي فقد اتسم النظام الاجتماعي المصري بالمرونة وكان بإمكان أي شخص أن يرتقي بمستواه أو مهنته ويدخل طبقة أعلى ما عدا طبقة أسرة الفرعون مما ساعد حرص المصريين على التعلم والدخول في سلك الكتاب والإداريين والعسكريين كوسيلة للتقدم والرفق الاجتماعي.

وكان لأحوال مصر السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية تأثير مباشر أو غير مباشر على ملامح التربية في تلك الفترة، فإيمان المصري وخوفه من الحساب جعله دائم الحرص على توجيه أبنائه وتربيتهم تربية أخلاقية متميزة، وفق أفضل قواعد الأخلاق وآداب السلوك والمعاملة. كذلك المجالات الأخلاقية الداعية لاحترام الأسرة وتبجيل الأم جعل للمرأة مكانة خاصة في التربية وكانت الفتاة تتعلم كالولد ووصل بعض النساء المصريات لمناصب عليا كالمك والطبيب أيضاً، لهذا كله حرصت الأسرة المصرية على إمداد طفلها بكل ما يحتاجه من أدوات للتعليم ومأكل و مشرب وحتى أدوات اللعب وتشجيعهم بكل ما ينمي مداركهم كذلك ساهمت الحياة الاقتصادية في ابتكار الكتابة لتنظيم حياة المصريين وإحصاء وتسجيل وتخطيط أراضيهم فضلاً عما أوجدته من معارف أخرى خاصة بالهندسة والفلك وغيرها مما ساعد على قيام نظام تربوي قوي وفعال وقف شاهداً على عظمة الحضارة المصرية في ذلك الوقت.

وساعد النظام الطبقي المرن في حرص المصريين على تعليم أبنائهم ليخرجوا من الطبقة الدنيا للطبقات المتوسطة فيصبحوا موظفين أو عسكريين كخطوة للتقدم. ورغم الحرص على التعليم وحيث أن المصري دأب على أن يتعلم مهنة أبيه فإنه حتى في أزهى عصور الدولة كانت الأمية متفشية بين المصريين.

أهداف التربية في مصر القديمة فيما يلي:

١. التعلم من أجل الانخراط في سلك الهيئة الحاكمة: وهو هدف اجتماعي يرى أن تعلم الكتابة والعمل بالحكومة يكفل لصحابه مركز اجتماعي مرموق نظراً لحاجة الحكومة لموظفين متعلمين وهي الوظائف التي تصل بأصحابها أحياناً ليصبحوا كتاباً أو قضاة أو مهندسين بالإضافة إلى أمناء القصر والأطباء والكهنة. ثمة عوامل تقف وراء تقوية هذا الهدف، منها:

- القدرة الكبيرة للحكومة على توظيف جميع المتعلمين في وظائف الدولة.
- الوصول لمكانة طيبة تكفل لصاحبها الكرامة واحترام الآخرين وتضمن له نصيباً من الحياة المستقرة.
- التخلص من أعمال السخرة (الخدمة الإجبارية) ومن تكاليف الضرائب.

٢. التعليم من أجل خدمة المطالب الدينية أو لاكتساب نصيب من العلم الديني: وهو الهدف الديني الذي نبع نتيجة لتدين المصريين فليس من قبيل المبالغة توقع أن المصري كان شديد الاعتقاد بأن تعلمه للكتابة والنقوش الدينية المقدسة يساعد على تحقيق السعادة له في الآخرة مما ساعد على تكوين طائفة من المتعلمين لكتابة ونقش تلك النقوش على جدران المعابد والمقابر بالإضافة عن كتابة المتون الدينية على صفحات البردي.

٣. التعلم تقديراً للعلم وكرامته (طلب العلم لذات العلم): وهو الهدف الذي كان شأنه في مصر القديمة شأنه في كل مجتمع وزمان وهو هدف القلة النادرة، وكان مركز الأخذ به في قصور الملوك والأمراء أو دور الحياة، وغالباً ما كان ينصح به أب أو داعية إلى مذهبه، وهناك بعض الإشارات حول الدعوة إليه ولعل أبرزها تأثيراً ما قاله معلم لتلميذه " إن كتاباً

واحداً لأعز قيمة من بيت الباني ومن مقصورة في الغرب، وإنه لأجمل من قصر مشيد ومن نصب تذكاري في المعبد " .

٤. التعلم للبحث عن حلول للمشكلات الحياتية: من ضمن دوافع التعلم عند المصريين الرغبة في البحث عن الحلول للعديد من المشكلات التي واجهتهم في حياتهم كمشكلات الزراعة والحاجة إلى عمليات الإحصاء والتسجيل للأراضي والضرائب وضبط المراتب وتعلم الحساب والهندسة والفلك وبناء السدود وحفر الترع وإقامة المقابر والمعابد وما إلى ذلك من الأمور الحياتية التي لا غنى للمصري عنها.

أنماط التربية المصرية:

تتضمن التربية المصرية الفرعونية جانباً نظرياً وجانباً عملياً، يتضمن الجانب النظري نصائح وتعاليم الشيوخ والحكماء بغرض تلقين وتعليم الاحترام الصحيح، ويتضمن الجانب العملي التدريب على الحرف وفنون النحت والبناء بالإضافة إلى الكتابة ومسك الدفاتر والحسابات.

المحتوى أو المناهج:

ارتبط المنهج المدرسي باحتياجات الحضارة المصرية القديمة واتفق مع أغراض التربية المصرية في تعليم الكتابة والإعداد للمهنة وتنمية القيم الخلقية وقد تضمن المنهج تعليم القراءة والكتابة وكان المصريون القدماء يعتقدون أن الرموز الكتابية قد اخترعها الإله " توت " وعلمها للناس الأوائل في وادي النيل. ونظراً لأن تطور اللغة المكتوبة كان أبطأ من تطور اللغة المنطوقة لغة الحديث فقد وجدت لغتان مع مرور الزمن: لغة الكتب والسجلات المكتوبة ولغة الناس أو لغة التخاطب. وهو وضع يماثل الوضع في أوروبا في العصر الوسيط عندما كانت اللغة اللاتينية هي لغة السجلات والكتب بينما كانت هناك لغة للحديث ولهجات محلية وهو يماثل الوضع الحالي بالنسبة للغة العربية كلغة للكتابة واستخدام اللهجات العربية المحلية في التخاطب. وقد كانت الكتابة طريقاً للدخول في الوظائف الراقية وحياة الرفاهية في المجتمع المصري القديم وكانت مهنة الكتابة الخطوة الأولى لتقلد المناصب الرسمية. وكان الكتاب يجدون الطريق ممهداً أمامهم للمناصب الرفيعة. ومع اتساع المملكة المصرية واحتكاكها بالشعوب الأخرى كان على المصريين أن يتعلموا لغات هذه الشعوب ومن هنا كان على المنهج الدراسي أن يعلم الأولاد رموز اللغات الأجنبية وكيف يحتفظون بسجلات الدولة والمعابد، وكان لكتابة الرسائل اهتمام ومكانة كبيرة في تعليم الكتاب. وقد اكتشفت كثير من الكتب المدرسية المصرية تحتوي على القصص الخيالية وقصص الرحلات وقصص الأعمال العظيمة للرجال العظام في الماضي. كما تضمنت هذه الكتب أيضاً كتب الأمثال والتعليم الخفي (التهذيب) والأخلاق الحسنة.

كما اكتشفت أيضاً كراسات التلاميذ وعليها تصحيحات المعلمين ويشير ماسبيرو عالم الآثار المعروف إلى وجود كراسات مدرسية كان التلاميذ يستخدمونها، وان هذه الكراسات تضمنت

موضوعات مختلفة ففيها نماذج للطلبات والرسائل والأعمال وأشعار المديح الموجهة للرؤساء وكذلك بعض التمرينات التي يقوم بها التلاميذ للتدريب على الكتابة. وتوجد بهذه الكراسات تصويب المدرس لأخطاء التلاميذ مكتوباً في أعلى الصفحة وأسفلها بخط واضح يدل على المهارة ويختلف اختلافاً واضحاً عن خط وكتابة التلاميذ.

وكان التلاميذ يكتبون عن موضوعات مختلفة من إنشائهم مثل رحلات فرعون وكبار موظفيه والشؤون الخاصة ببناء المعابد والمدن وإصلاح السفن. كما كانوا يتخيلون في كتاباتهم ما يكتبه المرؤوسون من الموظفين إلى رؤسائهم وردود الرؤساء وتقديم الشكاوي وغيرها من الموضوعات.

وكان التلميذ يقدر على أساس عدد الصفحات التي يقوم بنسخها في اليوم والتي كانت تصل في الغالب إلى ثلاث صفحات، وكان المعلم يقوم بتصويب الأخطاء في أعلى هذه الصفحات وأسفلها. كما كان الكهنة يقومون بكتابة تعليقاتهم على النصوص الدينية ويعلمون التلاميذ في مدارس المعابد هذه النصوص ويشرحونها لهم.

وإلى جانب تعلم الكتابة والأمور السياسية المتعلقة بتعليم المهنة كان التلاميذ يلقنون أصول الأخلاق والسلوك الاجتماعي كما كانوا يقومون بتعليم العزف على الآلات الموسيقية المختلفة والتدريب على الغناء لاسيما الغناء الديني وكذلك التدريب على الرقص والسباحة. وكانت طريقة التعليم تقوم على أساس التلقين والتقليد والحفظ والكرار والممارسة.

مراحل التعليم:

تمثلت مراحل التعليم فيما يلي:

أولاً :- التعليم قبل العالي " تعليم الصفوة " : قسم التعليم قبل العالي في مصر الفرعونية قسمين:

الأول: تعليم المرحلة الأولى للأطفال من سن الخامسة وحتى العاشرة من العمر .

والثاني: تعليم المرحلة الثانية من سن العاشرة وحتى الخامسة عشرة من العمر.

وسار التعليم في كل مرحلة كما يلي:

المرحلة الأولى (٥- ١٠ سنوات): اقتصر التعليم في مصر القديمة على أبناء الصفوة (أبناء الأسرة المالكة والوزراء والكهنة وكبار الكتاب)، وقد تمثل التعليم في واحد من الطرق الثلاث الآتية: الأول : يقوم الأب بدور المعلم ويلقن أبنائه الأمور الدينية، ويزودهم بالمعلومات والمعارف الخلقية وفنون الكتابة، ويدربهم على المهارات المهنية الحرفية. الثاني : يقوم الأب بإرسال ابنه إلى أحد المرابين ليعيش معه ويتعلم منه المعلومات والمعارف ويتقن على يديه القراءة والكتابة، وأسلوب الحياة الراقية التي تلزم الصفوة. الثالث : يتمثل في الحاق الأب لابنه بالمدرسة لتعلم القراءة والكتابة والحساب، ومن أمثلة هذه المدارس والتي كانت موجودة في المدن الكبرى ويشرف عليها كبار الكتاب: مدرسة معبد الرمسيوم ومدرسة ممفيس.

المرحلة الأولى- التعليم قبل العالي " تعليم أبناء الشعب ": اقتصر تعليم الأطفال من أبناء الشعب في هذه السن على قدر ضئيل من القراءة والكتابة. أما النابغين من هؤلاء الأطفال فكانوا يتعلمون داخل المدارس الملحقة بالمعابد أو القصور الملكية. وكان الغرض من التعليم في هذه المرحلة هو إكساب الأطفال مهارات خاصة للحياة العملية المستقبلية مثل: التدريب المهني والتدريب على الكتابة وتوجيه المتعلم سلوكياً.

المرحلة الثانية (١٠-١٥ سنة): يلتحق بها الأطفال الذين أنهوا الدراسة بالمرحلة الأولى، وتعلموا الكتابة ، حيث أنصب الاهتمام على نسخ الكتب، كما كان يستدل على قدرة التلميذ بعدد ما ينسخه من صفحات في اليوم الواحد. وكان المعلمون يصوبون ما ينسخه التلاميذ من كتابات، وتمثل الهدف من النسخ في تعويد التلاميذ المثابرة والنظام والدقة. وينتقل التلميذ بعد ذلك إلى التعبير والكتابة باستخدام الخيال، إذ يقوم التلميذ بتخيل لعملية بناء معبد أو قصر أو رحلة للملك أو إصلاح سفن أو قيام حرب. واهتم الصفوة والعامة بتحفيز أبنائهم على التعليم بضرب أمثلة لشخصيات مصرية حققت نجاحات نتيجة اهتماماتها بالعلم والتعليم والمقارنة بينهم وآخرين ممن يعملون في مهن متواضعة أو حرف متواضعة.

ثانياً: التعليم العالي (دور الحياة):

كانت المعابد هي مقار التعليم العالي في مصر القديمة، وقد اشتهرت جامعة (أون) في عين شمس بما كانت تقدمه من تخصصات فريدة في علوم الفلك والطبيعة والرياضيات. واهتمت الجامعات بإعداد طلابها وتأهيلهم للدراسة بها، فنظمت دراسات تمهيدية في الرياضيات (حساب المتلثات والمقاييس والمكاييل) والعلوم الطبيعية والتاريخ المصري والجغرافيا والفلك والطب والقانون والنحت والموسيقى والرسم والرقص والأخلاق.

تعليم المرأة:

تمت تربية وتعليم المرأة من خلال اختلاطهن بأبائهن وأخواتهن واقتصر تعليمهن على ما يتلقينه في المنزل، وقد حظيت بنات الفرعون ونساء البلاط بقدر أكبر من التربية والثقيف، وامتد التعليم إلى باقي الإناث في عهد الدولة الحديثة وتناول تعليم البنات بعض العناصر المميزة مثل الرقص والموسيقى والعزف.

طرق التربية والتعليم:

تنوعت الأساليب والطرق التي استعملها قدماء المصريين في تربية الأبناء ومن أشهرها: الإقناع والإملاء ونقل النصوص (النسخ) والتلقين والحفظ والاستظهار واللعب (مارس المتعلمون ألواناً من الرياضة كالتجديف والمبارزة والفروسية والرماية لاستكمال النمو الجسمي والتدريب على الفروسية والرماية لاستكمال النمو الجسمي والتدريب على النضال والمقاومة) .

ولتأديب التلاميذ وتقويم سلوكياتهم لجأ المعلمون إلى استخدام الضرب، والعقاب بالقيود والحبس لمدة تصل إلى ثلاث شهور والتهديد والوعيد، والتحذير والتذكير، والوعظ والإرشاد والإغراء

بحياة أفضل لمن يثابرون على العلم. كما كان هناك اهتمام بالأاستمرار التلميذ نائماً إلى ساعة متأخرة صباحاً، وأن يعود الاستيقاظ مبكراً والمواظبة على الدراسة.

التربية الصينية

من خلال تصفحنا لتاريخ الصين وحضارتها، نجد أنها دولة متميزة بنظام اجتماعي وثقافة خاصة بها، منذ القرن الثاني والعشرين قبل ميلاد السيد المسيح ومع بداية نشوء الدولة الصينية، بدأ نظامها التربوي، الذي اتخذ طابعاً متميزاً عن غيره من النظم التربوية في الحضارات القديمة، بالظهور وفق صيغة ثابتة لا يمسه التغيير والتعديل لحقبة زمنية امتدت لعشرات القرون، لقد امتاز الشعب الصيني بخضوعه التام للتقاليد وجزئياتها وبتقديسه لها بصورة كلية، واستمر هذا الشعب ولفترة زمنية ليست بالقصيرة على الخضوع للماضي وتمثل محتوياته، فقد خضعت التربية بنظمها ومادتها وأساليبها وأهدافها خضوعاً كلياً للتقاليد القديمة، واتصفت التربية نتيجة لذلك بروح المحافظة ومقاومة التجديد.

"وتعتبر الصين نتيجة نظم التربية فيها، بلاد الوحدة المطلقة، بلاد العرف والتقاليد الرعية، وهي البلاد التي لا يسمح فيها بأي تغيير في الطرق المعهودة في التفكير والوجدان والعمل، وإن حدث مثل هذا التغيير فهو نادر".

وهدفت التربية الصينية إلى " أن تجمع في الفرد حياة الماضي، وأن تنشئه على عادات فكرية وعملية كالعادات الماضية، دون أن تقوى أية ملكة أو تغير أية عادة وفق مقتضيات الظروف الجديدة".

إن التربية الصينية تتمثل بما جاء به الفيلسوف الصيني المشهور كونفوشيوس (٥٥١-٤٧٨ ق.م) الذي عُرف عنه عقل راجح وحكمة عالية. فقد استطاع أن يحقق نجاحاً ساحقاً في أفكاره التي تقول بالأخلاق العملية والنفعية القائمة على سلطة الدولة والأسرة وعلى منفعة الفرد.

وإن إيمانه بأهمية الأخلاق جاء نتيجة لما كان يراه في أن اصلاح الخطأ والفساد المنتشر في مجتمعه لا يتم إلا على أساس الأخلاق التي فسدت نتيجة لضعف الإيمان القديم وانتشار الشك السفسطائي في ماهية الصواب والخطأ.

والكونفوشية ليست نظاماً دينياً، ولا هي نظام عبادة، إنما هي نظام فلسفي يجمع بين الآداب السياسية والاجتماعية وبين الاخلاق الخاصة. واستمدت الكونفوشية قوتها من الديانتين البوذية والتاوية في تعاليمهما هذه. وقد أوجبت على الطفل تعلم التعاليم الأخلاقية والواجبات الاجتماعية أولاً، باعتبارها جزءاً أساسياً من المبادئ الرئيسة للسلوك، والمتمثلة بالعلاقات التالية:

١. علاقة الحاكم بالمحكوم أو بالرعية.
٢. علاقة الأب بابنه.
٣. علاقة الزوج بزوجه.
٤. علاقة الأخ بأخيه.
٥. علاقة الصديق بصديقه.

إن ما تتضمنه تربية المواطن الصيني هو تمكينه من معرفة الآداب المقدسة والامام بها، لكي يتمكن من العيش مع أبناء مجتمعه وفقاً لقوانين الطبيعة. وهذا الأمر لا يمكن تحقيقه، ما لم يتمكن الفرد من استظهار الكتب المقدسة، وهضم ما عليها من تعليقات عديدة. وقد أضافت الدولة هدفاً آخر بغية تحقيق الجانب الاجتماعي للأهداف التربوية الكونفوشية، وهو إن الوظائف الرئيسية في الدولة لا يضطلع بها إلا من أثبت جدارة ومقدرة وكفاءة واستيعاباً شاملاً للمواد التي تتضمنها الكتب المقدسة.

وتبأت الاسرة الصينية موقعاً متميزاً وأساسياً في عملية التربية، ذلك أن مهمتها الأولى تتلخص في تمهيد الطريق أمام الأطفال لكي يسهل عليهم دخول المدرسة. كما انيطت بها مهام دراسية أخرى مثل: غرس الأخلاق وتعاليمها والتأكيد على العلاقات الخمس المشار إليها سابقاً. وتعتبر الاسرة أساس التنظيم الاجتماعي، وإن خطيئة الآباء قد يعاقب عليها الأبناء. وبذلك فقد تمكنت الاسرة من السيطرة على المجتمع.

إن غرض التربية الصينية في مرحلة التعليم الأولى هو تمكين المواطن الصيني من الامام باللغة والآداب المقدسة. ولذلك فقد خصصت هذه المرحلة لاستذكار أشكال الرموز المختلفة، وذلك عن طريق حفظ بعض النصوص والكتب الدينية. أما مدة الدراسة في هذه المرحلة فإنها تتراوح بين ٣ و ٥ سنوات، وغالباً ما تنتهي في سن الخامسة عشرة أو أكثر.

وتلي مرحلة التعليم الأولى، مرحلة التعليم الثانوي فإلعالى. ويتعلم الطلبة في هاتين المرحلتين نفس الكتابات الفلسفية والدينية التي سبق وأن تم تعلمها في المرحلة الأولى، ولكن بصورة أوسع وأشمل. إضافة لذلك فإنهم "يدرسون التاريخ الصيني والقانون والمالية والشؤون الحربية والزراعية. ويتمرنون على كتابة الشعر والمقالات وفق النمط الذي سار عليه أجدادهم".

ويشغل التعليم العالى فترة غير محددة ينبغي أن تختم بالنجاح في الامتحانات التي تشرف عليها الحكومة والحصول على درجات علمية مناسبة. وتجدر الإشارة إلى إن الدولة الصينية لم تقم بعملية الانفاق على المدارس، ولم تكن هناك مدارس حكومية، ولا نظام تعليمي رسمي. وكانت المدارس مقتصرة على أبناء الطبقة الثرية التي تتمكن من دفع أجور الدراسة. أما أبناء الطبقات الفقيرة، فقد حرّموا من فرص التعليم. كما حرمت البنات كذلك من التعليم أيضاً، ولم توجد مدارس مخصصة لتعليم الإناث، ولم يكن هناك تعليم لغالبية التلاميذ بعد سن الخامسة عشرة.

النظام المدرسي

امتاز النظام المدرسي عن غيره من النظم التربوية بكونه نظاماً مزدوجاً يشتمل على:

١. نظام المدارس.
٢. نظام الامتحانات.

١. نظام المدارس:

اتسم هذا النظام بطابعه الخاص والتميز، والذي يهدف إلى سيادة اللغة الصينية والأدب المقدس وبث القدرة على كتابة المقالات.

وقد اشتمل على مراحل ثلاث:

خصصت الأولى لاستذكار أشكال الرموز المختلفة، وذلك بحفظ بعض النصوص التي اختيرت للطلبة وحفظ الكتب الدينية، وتنتهي هذه المرحلة في عمر الخامسة عشرة. " وعندها يكون الصبي قد اكتسب براعة عظيمة في الاستظهار، ولكنه لم يستفد أي شيء آخر".

أما المرحلة الثانية فهي مخصصة للترجمة، أي حل الرموز التي سبق وأن تعلمها واستظهرها بالمرحلة الأولى. وبكلمة أخرى تعتبر هذه المرحلة مرحلة قراءة فعلية، أو ترجمة للنصوص.

في حين خصصت المرحلة الثالثة لكتابة المقالات والموضوعات الإنسانية، إلى أن يحصل التلميذ على مهارة كافية وقدرة كافية في هذا الفن تمكنهم وتؤهلهم لدخول الامتحانات والنجاح فيها.

لقد انتشرت المدارس الأولية في كل قرية ولم تكن مجانية ولا الزامية، فأولياء أمور الطلبة يدفعون أجور التعليم، ويؤمها الطلبة باختيارهم. ويقوم بالتدريس فيها أما فئة من الطلبة من الذين لم يحصلوا على درجاتهم العلمية، أو أولئك الذين لم ينالوا شهادات ولم يشغلوا الوظائف الحكومية. أما مكان المدارس، فكان في معبد من المعابد إذا تعذر وجود كوخ مناسب أو سقيفة أو ركناً يأوي إليه التلاميذ. أو قد يكون التعليم في أية غرفة خالية في إحدى الدور أو الأبنية العامة.

أما اليوم المدرسي في ظل هذا النظام، فهو طويل جداً يبدأ من طلوع الشمس لقرب غروبها تتخلله فترات راحة للطعام، وتكون الدراسة مستمرة طول العام، لا تتخللها عطل.

"ويتطلب العمل المدرسي الابتعاد عن الزملاء والأقارب للانقطاع للدراسة". وفيما يتعلق بطرائق التدريس فقد تركزت على تمرين الذاكرة وتدريب التلاميذ على حفظ النصوص، فالتلميذ في المدرسة الصينية القديمة يقوم بقراءة كتابه بصوت عالٍ مكرراً درسه مرات عديدة حتى يرسخ ذلك الدرس أو الموضوع في ذهنه، ومتى ما استظهر هذا الدرس أو الموضوع أو الكتاب، أعطى كتابه لمعلمه وقرأ الدرس أمامه غيباً، مع التأكيد على الإسراع الكلي في قراءة الدرس.

وكانت توجد المدارس العالية في المدن، حيث تقوم بإعداد الطلبة للامتحانات العامة وذلك عن طريق تدريبهم على كتابة المقالات وبدراسة النصوص والتعليقات. كما إن هناك معاهد خصوصية أقرب شبيهاً بالكليات في الوقت الحاضر، ينفق عليها من الهبات الخاصة التي يقدمها الأغنياء أو طبقة الموظفين، إضافة لذلك توجد معاهد مماثلة تقوم الدولة بالإنفاق عليها أو يمولها كبار الموظفين.

٢. نظام الامتحانات:

يعتبر الامتحان والتعاليم الكونفوشية التي يعتنقها الصينيون من أهم القوى والنظم التي أثرت في المجتمع الصيني. ونظم الامتحانات هي الوسيلة الوحيدة التي بوساطتها تمت السيطرة على الطبقة المتعلمة وبالتالي على الحكومة إذ إن هذه الامتحانات هي "المعيار الذي ينتخب به موظفو الحكومة ومن ينجح فيها يكون موضع ثقة الشعب واحترامه". وقد وضع هذا النظام حوالي سنة ٦١٧ ق.م. وألغي نظام الامتحانات القديم عام ١٨٩٨ م وحل محله نظام الكليات الغربية.

إن غرض التربية بصورة عامة هو خدمة النظام القائم، وتهيئة واعداد الموظفين القادرين على إدارة دفة الحكم. وكان الموظفون يعينون في الوظائف المختلفة وفقاً لما يحصلون عليه من نتائج في الامتحانات التي تقوم الدولة بالإشراف عليها وعقدها في أوقات معينة في المراكز التي يتقدم لها الراغبون من الذكور لأدائها. ويسيطر على هذه الامتحانات موظفو الحكومة الذين يتكونون من نخبة من العلماء الصينيين الذين سبق وأن خضعوا لمثل هذه الامتحانات.

وتتكون هذه الامتحانات من ثلاث أنواع تتدرج حسب صعوبتها، وهي:

١. امتحانات الدرجة الأولى.
٢. امتحانات الدرجة الثانية.
٣. امتحانات الدرجة الثالثة.

امتحانات الدرجة الأولى

وتجري هذه الامتحانات عادة مرة كل ثلاثة أعوام في عاصمة المقاطعة. ويشرف عليها العميد الأدبي ذو النفوذ التشريعي على المقاطعة بأكملها، وفي هذه الامتحانات يطلب من الطالب كتابة ثلاثة مقالات في موضوعات مختارة من كتاب كونفوشيوس. وتعد هذه الامتحانات في حجرات منفصلة ويمكن الطلبة، ما بين ١٨-٢٤ ساعة. وبذلك فهي تتطلب جهداً عقلياً شاقاً. ولا يسمح بالنجاح إلا لجزء من ٢٠ من الطلبة المتقدمين للامتحان. ويكرر هذا الاختبار أربع مرات أو خمس حتى تسنح الفرصة بالانتقاء العدد المطلوب. والناجحون في هذا الامتحان يحق لهم أن يتقدموا لامتحان الدرجة الثانية.

امتحانات الدرجة الثانية

إن الغرض من هذه الامتحانات هو قياس قدرة الطالب على القراءة ومدى كفايته في كتابة الموضوعات الانشائية. وغزارة المعلومات لديه. وتعد هذه الامتحانات مرة كل ثلاث سنوات أيضاً في عاصمة المديرية، وهي شبيهة بامتحانات الدرجة الأولى من حيث أسلوبها ونهجها، إلا إنها أكثر صعوبة وأشمل من الامتحانات الأولى ومدة الامتحان ثلاثة أيام، وتشتمل على الموضوعات النظامية والنثرية. ومن أجل الحصول على العدد المطلوب لإشغال الوظائف الحكومية فإن هذه الامتحانات تتكرر ثلاث أو أربع مرات، نظراً لأن نسبة الناجحين فيها لا يتجاوز ١% من الطلبة المتقدمين.

امتحانات الدرجة الثالثة

ويعد هذا الامتحان في العاصمة بكين في أعرب قاعة امتحان تتكون من عشرة آلاف غرفة، تخصص لكل طالب غرفة يمكث فيها ثلاث عشر يوماً وهي المدة المحددة للامتحان. ويأخذ الطالب غذائه وشرابه معه. ويعطى أسئلة الامتحان، وعليه الإجابة خلال هذه الفترة، وتتعلق الأسئلة بالكتابة عن كونفوشيوس والأدب والأخلاق والفلسفة.

أما نسبة الناجحين في هذه الامتحانات، فإنها تكون عادة أكبر من نسبة هؤلاء الذين دخلوا الامتحانات السابقة. والطالب الذي ينجح في هذا الامتحان يأمل أن يكون تلميذاً ضابطاً في حكومة الصين.

ولم يشترط في هذه الامتحانات سناً محددة، فقد كان يسمح للشخص أن يتقدم للامتحان في أي سن مدى حياته، وكثيراً ما كان الجد والابن والحفيد يؤدون الامتحان ذاته، ويبدل الممتحنون جهوداً كبيرة وشاقة من أجل النجاح في مثل هذا الامتحان.

إضافة لما تقدم، فإن هناك امتحاناً أعلى لا يدخله إلا الأطباء "العلماء المسجلون" ولا يبلغ عدد الناجحين فيه أكثر من عشرين شخصاً، والناجحون فيه ينالون وظيفة رفيعة، تعدهم لأن يكونوا أعضاء في المجلس الامبراطوري. وانهم يكونون طبقة العلماء التي تعرف في الصين باسم "هان لن يوان Han Lin Yuan" أو طبقة "غابة الأقلام" أو "الأكاديمية الإمبراطورية". ومهمة هذه الطبقة إنها تقوم بوظائف استشارية وأعمال رسمية.

إن التربية الصينية بنظامها المزدوج الذي أشرنا إليه استطاعت أن تحقق هدفها الأسمى وهو استقرار المجتمع والاحتفاظ بالماضي وبقاء الإمبراطورية. وبذلك فقد أصبحت الصين بلاد الوحدة المطلقة نتيجة لنظم التربية فيها.

والتربية في الصين محدودة في مرادها، شكلية في طرقها، ووفق نمط واحد جامد لا يقبل التبديل والتغيير، وما مهمتها سوى تدريب وإعداد القادة لمعرفة التعاليم والآداب القديمة بنظام المجتمع والمستمدة من رجل الصين العظيم "كونفوشيوس" كما إنها تقوم أيضاً بتدريب جميع أفراد الشعب على أساليب وأنماط السلوك الصحيحة وفقاً للعرف والتقاليد المعروفة والمرعية لدى الصين القديمة.

التربية اليونانية

عرفت اليونان بحضارتها العريقة بقرون عديدة قبل ميلاد السيد المسيح، واحتلت نتيجة لذلك منزلة رفيعة في التاريخ. فالجنس البشري مدين بالكثير في ثقافته الدنيوية لليونانيين الأقدمين. إذ نجد الألفاظ الدالة على " المدارس والملاعب والحساب والهندسة والتاريخ والبلاغة وعلوم الطبيعة والأحياء والتشريع والصحة والشعر والموسيقى والمآسي والمسالي والفلسفة والدين وعلم الأخلاق والسياسة والمثالية وحب الاستبداد والديمقراطية". في هذه الثقافة التي انتقلت إلى حضارات أخرى عبر التاريخ.

ومن أهم العوامل التي ساعدت على تقدم المجتمع اليوناني ورفيقه في المجالات الحياتية كافة، هو ما امتازت به بلاد اليونان من جو لطيف قليل التغيير يبعث النشاط في الإنسان ويساعده على التفكير والإبداع والتصور.

وفي مجال التربية، فقد حظيت اليونان بنظام تربوي متميز حيث اتخذت التربية عندهم شكلاً منظماً كان أساساً لما سارت عليه التربية في العصور اللاحقة وامتازت هذه التربية بكونها تربية ارسقراطية، محصورة بفئة قليلة من المجتمع، ولم ينل العبيد أي نصيب منها، وذلك بسبب طبيعة التركيب الطبقي للمجتمع اليوناني آنذاك، الذي حرم طبقة العبيد من حق التمتع بالحرية والتملك. وفي ضوء هذا العدد المتميز من القلة المفضلة فقد اتسمت التربية بروح التجديد والابتكار وفسح المجال لنمو الشخصية الفردية في الجوانب السياسية والعملية والخلاقية والفنية وكان هدف التربية عند اليونانيين هو " أن يصل الإنسان إلى الحياة السعيدة الجميلة، وكان التكوين الروحي للفرد موضوع عنايتهم واهتمامهم، وتكامله النفسي أو تحقيق الانسجام بين كماله الروحي وكمال الجسدي المثل الأعلى لهم.

والمتصفح لتاريخ اليونان القديم، يجد ثلاثة نظم للتربية، تكونت نتيجة للتطور الحاصل في المراحل التاريخية المتعاقبة. وكانت كل مرحلة تمتاز بخصائصها الواضحة والتميزة عن غيرها من المراحل. وهذه المراحل هي:

١. مرحلة التربية الهومرية (أو التربية في بلاد اليونان قبل كتابة تاريخها) والتي امتدت إلى حوالي عام (٧٧٦) قبل الميلاد.

٢. مرحلة التربية اليونانية القديمة، التي امتازت بنظامين تربويين متناقضين هما:
(أ) التربية الاسبارطية.
(ب) التربية الاثينية.

٣. مرحلة التربية اليونانية الحديثة، التي بدأت من عصر بركليز الذي اعتبر مرحلة انتقال بين القديم والحديث في نواحي الحياة اليونانية القديمة، ومن هذه النواحي: التربية والدين والقيم الأخلاقية. وتلي هذا العصر الفترة الممتدة من استيلاء المقدونيين على أثينا في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، وحتى خضوع بلاد اليونان للإمبراطورية الرومانية.

ولما كانت كل من اسبارطة واثينا من الدول البارزة بين دول اليونان القديمة، وامتازت كل منهما بنظام تربوي له خصائصه وأهدافه ووسائله المتميزة، بسبب اختلاف العوامل الثقافية والسياسية التي تقف وراء ذلك، فسيكون حديثنا متمركزاً حول توضيح طبيعة النظام التربوي في كلا الدولتين.

لقد عرف اليونانيون نظامين للتربية متناقضين، فاسبارطة مثلت النظام الأول الذي امتاز بأهدافه وأغراضه الحربية، دون التأكيد على الثقافة الفكرية والتربية الروحية، فقد كانت القدرة الجسدية والحربية هي السلطة المفضلة لدى الاسبارطيين الذين هدفوا إلى إعداد وتكوين الجنود الأبطال الشجعان الذين يكون بمقدورهم حمل السلاح والدفاع عن اسبارطة.

النظام الثاني، فقد مثلته أثينا حيث هدفت هذه الدولة إلى التوفيق والتنسيق بين العناية الجسدية والعناية الفكرية، وفي الوقت الذي أكدت فيه أثينا على العناية بالروح والجسد إلا إنها أعطت ترجيحاً للثقافة الروحية بعض الشيء. فكان الجمهور الاثيني نتيجة لذلك نواقاً للخطاب والكلام وفن القول.

لقد أخذت التربية اليونانية بالتطور حتى أصبحت سياسة ونظاماً واضحاً من حيث الشكل والمضمون. فأصبح التعليم لديهم من الوسائل الهامة لتربية المواطنين. وأصبح هذا الهدف هو العامل المحدد لسياسة التعليم وتنظيمه على نحو لم يسبق له وجود. لقد أصبح التعليم جزءاً من السياسة العامة للدولة ولم يعد عشوائياً على غير هي ونظام.

التربية الاسبارطية

تمثل التربية الاسبارطية التربية اليونانية في أوضح صورها ومظاهرها، إذ لم يطرأ على هذه التربية أي تغيير أو تعديل من الناحيتين العملية والتطبيقية، إلا في حالات استثنائية نادرة حدثت عند انهيار دولة اسبارطة.

وقبل الحديث عن التربية الاسبارطية تجدر الإشارة إلى العوامل التالية التي كان لها الأثر الكبير في طبيعة تكوين النظام التربوي:

١. الموقع الجغرافي لاسبارطة: حيث كانت تقع في منطقة جبلية وعرة وكانت المعيشة في بيئة من هذا النوع تتطلب قوة الجسم والقدرة على الاحتمال.

٢. النظام الاجتماعي الاسبارطي:

يتألف المجتمع الاسبارطي من ثلاث طبقات هي: طبقة السادة والطبقة الوسطى التي تشمل الملاك والتجار والصناع وطبقة العبيد. "وكان عدد الاسبارطيين السادة خمسة وأربعين ألفاً" وكانت المهمة الملقاة على طبقة العبيد هي خدمة طبقة السادة، وما على الطبقة الوسطى إلا دفع الضرائب الباهظة للاسبارطيين السادة الذين كونوا طبقة امتازت بتعاليتها في ارستقراطيتها وسيطرتها التامة على الطبقتين الاخرين (الوسطى والعبيد). وقد أدى هذا الأمر إلى سخط هاتين الطبقتين وإيجاد حالة من عدم الهدوء والاستقرار داخل الدولة الاسبارطية.

٣. إن العلاقات السياسية الخارجية للمجتمع الاسبارطي وسيطرة اسبارطة على العشائر القريبة منها وفرضها الضرائب على تلك العشائر كان سبباً في احداث الاضطرابات والثورات الداخلية، ولذلك بات من الضروري بالنسبة للسادة الاسبارطيين أن يسيطروا على هذه الأوضاع غير الطبيعية بالنسبة لهم ومحاولة اخماد هذه الاضطرابات والتحركات الداخلية.

لقد بدأت الدولة الاسبارطية، حينما انتقلت من مجتمع بدائي قبلي إلى دكتاتورية ارستقراطية، في السيطرة الكاملة على التعليم بغية تحقيق أهدافها وأغراضها مثلما سيطرت على النواحي المختلفة للحياة في اسبارطة. أما النظم والقوانين المتبعة في المعيشة والتربية "فقد عزاها هيرودوت وبلوتارك المؤرخان إلى ليكورجس المشرع الذي عاش حوالي ٨٥٥ ق.م. ، والذي سن نظم الزواج واللوائح التي اتخذها الاسبارطيين دستوراً لهم في الحياة".

وقد هدفت التربية الاسبارطية إلى إعداد المواطن لمكانة في الدولة وبذلك ينبغي تزويد كل مواطن بقدر كافٍ من الكمال الجسماني والشجاعة والتحلي بعبادات الطاعة العمياء للقانون حتى يكون الجندي المثالي الذي لا يهزم، "ويصبح فرداً يغني شخصيته في شخصية المواطن". ولذلك فقد كان كل شيء في العملية التربوية موجهاً نحو تكوين المواطنين العسكريين والمحاربين الشجعان وكان الشباب يدرّبون في ثكنات عسكرية على عادات الطاعة والولاء للقانون واحترام سلطة الدولة في الوقت الذي خضع فيه الشباب لنظام اتسم بقساوته من أجل نمو

قوة الاحتمال الجسدي لديهم و غرس صفات الولاء والشجاعة عندهم حتى تزداد مهارتهم الحربية ويكون بمقدورهم الانتصار على الأعداء المغيرين على دولتهم ، وقد أثنى أرسطو على نوع التربية الاسبارطية ونجاحها في المجال الحربي فهناك سجلات تبرز تماماً ما حصلت عليه من مختلف النتائج الناجمة مما لا تقارن به أي دولة يونانية أخرى. فالرجل الاسبارطي يمتاز بالشجاعة والقوة والاحتمال وضبط النفس مما قد لا يتوفر أحياناً عند غيره من الاغريق في حين إن المرأة الاسبارطية تتصف برفعها ونشاطها في الحياة ومقدرتها على مواجهة الفرص التي أغفلتها في العصور السابقة، نساء الدول الأخرى في بلاد اليونان.

ونتيجة لاهتمام الدولة الاسبارطية بتربية مواطنيها فقد عينت مشرفاً عاماً للتربية كما عينت له بعض المساعدين ويكون هذا المشرف -عادة- من أحسن الرجال من حيث سيرته وسلوكه وتصرفاته العامة وأخلاقه، وقد منح هذا المشرف سلطة مطلقة لتربية المواطنين الاسبارطيين وبخاصة عقاب التلاميذ حينما تدعو الضرورة لذلك فقد كان يعاونه في هذه المهمة عدد من حاملي السياط.

تبدأ التربية الاسبارطية منذ مولد الطفل فالدولة هي المسيطرة على التعليم بجميع مراحلها المختلفة وكان الطفل المولود حديثاً يعرض على شيوخ الدولة حيث يقررون إذ كان يستحق الحياة أو الموت، وذلك بعد إجراء عدد من التجارب والفحوص عليه لاختبار قوة احتماله فكان الطفل يستحم بالخمير باعتبار إن الخمر يقضي على الطفل الضعيف ويقوي الطفل القوي، ولذلك فمن يثبت ضعفه من الأطفال كان يلقي على قمة أحد الجبال عارياً حتى يموت أو ينقذه أحد العبيد، ليربوه أو يدربوه على حرفة من الحرف وليكون عبداً مثلهم، ومن ثبتت صلاحيته للحياة فإنه يعاد إلى أمه لتقوم بإرضاعه وتربيته حتى السابعة من العم، ولكن الام كانت تسير على نظام نصحت به الدولة في تربية الطفل وتنشئته وهو عدم تقييد نمو طفلها وحركاته وأن تقسو عليه في معاملته ولا تستجيب لمطالبه وأن تمنعه من البكاء. وأن تتركه في الظلام حتى يتعود على الصبر وتحمل المشاق وتمنو في نفسه الشجاعة. وكانت الأم الاسبارطية تقوم كذلك بتعويد طفلها على تحمل الجوع والألم بدون شكوى وحينما كان الولد يمر بمرحلة الطفولة المبكرة كان أبوه يصحبه معه إلى مجتمعات الرجال حتى يلاحظ بالترديد طرق الحياة فيها ويتعرف على بعض المثل الأخلاقية الضرورية.

وفي سن السابعة كان الآباء جميعاً يرسلون أطفالهم إلى المعسكر العام حيث يوضعون تحت رعاية وإشراف المشرفين على التربية ويلحق بالمدرسة الداخلية التي هي أشبه بالثكنات العسكرية من حيث نظام الحياة فيها.

وكان الأولاد يقسمون إلى مجموعات تتألف كل واحدة من ٦٤ طفلاً وعلى رأس كل جماعة منها رئيس يدير شؤونها وهذا يختار عادة من بين الأولاد المتقدمين في السن. والولد المختار لقيادة جماعته ينبغي أن يمتاز بشجاعة وحسن التصرف وتميزت كل جماعة بتقارب أطفالها في أعمارهم وحددت لهم ألعابهم وتمارينهم البدنية الخاصة بهم، كما كانوا يتناولون طعامهم

وينامون سوياً وكان الغرض من هذه التربية الجمعية غرس مشاعر المساواة والصحة وروح الألفة بينهم.

وبعد سن الثانية عشر ينتقل أولاد إلى نوع من التدريب العسكري العنيف الذي يستمر لمدة عامين تحت الإشراف المباشر للجيش الاسبارطي، ويحظى البارزون والمتفوقون من هؤلاء الأولاد بتقدير الكبار ويصبحون رفقاء محبين لهم وانصبت التربية على الجانب العسكري فقط، وبذلك لم يحظى الأولاد بنصيب كافٍ من التعليم أو التهذيب ولم يتعلم الأولاد القراءة والكتابة في المدارس إلا على يد مدرسين خصوصيين. وقد وصف ايسوقراط الاسبارطيين بأنه أميون. " وقال افلاطون بأنهم كانوا مغرمين بقصص الأبطال وبالأشعار ولكنهم جهلوا علم العدد (الحساب)، لذلك يمكننا القول بأن حتى القراءة والكتابة والحساب التي هي أولى مستلزمات التعليم لم يعنى بها في اسبارطة. ومنعت الكتب التي لم يكن لها فائدة عملية، من دخول اسبارطة. أما الرقص فلم يكن الغرض من تعلمه إلا للشؤون الحربية والأمور الدينية.

وفي سن الثامنة عشرة يلتحق الشاب الاسبارطي بفرقة (الافيبى) أو الطالب الحربي، حيث يتلقى هناك تدريبات عسكرية متقدمة، ودراسة عميقة في الأسلحة الحربية والعمليات العسكرية واستخدام السلاح. وكانت تختبر قوة احتمال الفتیان عن طريق إجراء اختبار عسير لهم كل عشرة أيام، لا يخلو من كثير من القسوة.

وعندما يبلغ المواطنون الاسبارطيين سن العشرين، فإنهم يلتحقون بالجيش، حيث يتدربون على تحمل أنواع الصعاب. ويؤدون يمين الولاء للدولة، ثم يرسلون إلى وحدات الجيش على الحدود حيث يقضون مدة عشر سنوات كجنود نظاميين يقومون بمهامهم العسكرية عند نشوب الحرب. ويبلغ الاسبارطي عهد الرجولة في الثلاثين من عمره، ويتمتع بجميع الحقوق والامتيازات المدنية ويصبح عضواً من أعضاء الجمعية العامة، ويجبر على الزواج لصالح الدولة. وعلى الرغم من إنه مواطن كامل الرجولة ورب أسرة، إلا إنه "يستمر في سكن الثكنات العامة وتناول طعامه على الموائد المشتركة، ويعمل مدرساً للنشئ وجندياً في ميدان القتال". ويكون دائماً على أهبة الاستعداد للاشتراك في كل الحروب الدفاعية والهجومية للبلاد.

تربية البنات

أما تربية البنات الاسبارطيات، فكانت تشبه تربية الأولاد، إلا إنهن لم يلتحقن بالمعسكرات أو الثكنات العامة بل كن يعشن مع امهاتهن في المنازل. وكانت الفتيات يتلقين تدريباً على الألعاب المختلفة في ملاعب خاصة بهن. ويعرضن لألوان من الصعاب كثيرة، ويجبرن على المشاركة في المباريات التي تتسم بالسرعة والقوة، كالمصارعة والجري والسباحة ورمي القرص والرمح، إضافة إلى تعليمهن أنواع مختلفة من الرقص ذي الطابع الديني. فقد "كانت البنات يمشين في المواكب في الاحتفالات ويرقصن وغنين للشباب، ويمدحن الشجعان منهم، ويذمن الجبناء".

وقد تمتعت المرأة الاسبارطية بقسط كبير من الحرية، إذ سمح لها الاشتراك مع الرجل في السباقات الرياضية، والاختلاط مع الأولاد والرجال، ومشاهدة الأولاد عند تأديتهم للتمرينات الرياضية المختلفة.

وكان الغرض من هذا النظام المتميز في تربية البنات، هو إن الفتاة القوية الجسم تنجب أطفالاً مثلها أقوىاء الجسم وأصحاء، ويمكن أن يصبحوا جنوداً شجعاناً يدافعون عن اسبارطة ويحموها من هجمات الأعداء. ومن نتيجة هذا النظام، إنه أنتج نساء من نوع خاص في عالم التربية، فقد اتسمت المرأة الاسبارطية بالشجاعة، وفي حث ابنها ودفعه للقتال والموت من أجل وطنه. فأحدى النساء "سلمت السف لابنها وهو متجه للقتال، قائلة له أن يموت بهذا السيف أو عليه". وقالت أخرى "عد حاملاً درعك أو محمولاً عليه".

وبذلك حظيت المرأة الاسبارطية باحترام الاسبارطيين وتقديرهم، وهي في نظرهم لا تقل أهمية عن الرجل، ولا منزلة. "وكما كان المحارب المثل الأعلى للرجال، كانت أم المحارب المثل الأعلى للنساء". ولم تكلف المرأة الاسبارطية بالأعمال المنأطة بطبقة العبيد كالغزل وعمل الملابس وغيرها. وإنما اقتصرت مهمتها على تربية أولادها وإعدادهم منذ الصغر للدفاع عن بلادهم والتضحية في سبيل ذلك. ولم يسمح للمرأة في التربية الاسبارطية بإظهار مشاعر الحزن والخوف أو الضعف عندما يفقد ابنها أو زوجها في الحروب.

ولقد تمكن الاسبارطيين -نتيجة لنظامهم التربوي هذا- من تحقيق أهدافهم وبلوغ غاياتهم ومثلهم العليا. واستطاعت الطبقة الحاكمة المتمثلة بطبقة الأسياد من السيطرة على الشعب واستعباده وتسخيره لخدمة مصالحها، والمحافظة على كيان هذه الطبقة وسلطتها، وكذلك القضاء على الاضطرابات والثورات الداخلية، ومقاومة هجمات الأعداء التي تتعرض لها بلادهم.

وامتازت التربية الاسبارطية بكونها تربية محافظة لا تقبل التغيير أو التبديل وفرضت عقوبات على من يحاول اجراء تغيير أو تعديل على القوانين المعمول بها. وبهذا فقد نجحت هذه التربية في إعداد مواطنين امتازوا بالشجاعة والطاعة للدولة والولاء لها، كما امتازوا بالصبر وعدم التذمر والصحة والقوة. ولكنهم في الوقت نفسه -ونتيجة لنوع التربية المشار إليه آنفاً- لم يتعودوا الاعتماد على النفس، وحددت قدرتهم وقابليتهم على الابداع والتفكير، ولم يتعودوا مواجهة المشكلات وكيفية حلها، ولم يعطوا الفرصة لتحمل المسؤوليات، بل إنهم كانوا يسيرون وفق ما ترتئيه الدولة وما عليهم إلا الطاعة وعدم مخالفة التعليمات.

ولم يترك لنا الاسبارطيين تراثاً فكرياً ذا أهمية، فلم يترك المجال حراً للتعبير عن الرأي، ولم يسمح لوضع النظريات أو رسم الخطط، فالطبقة الحاكمة هي المسؤولة وهي المسيرة للأمر الحياتية صغیرها وكبيرها. وما على المواطنين إلا اتباع إرشادات الدولة وتعليماتها بكل دقة وولاء.

ويبدو فشل النظام التربوي واضحاً في الانحلال الخلقي والاجتماعي الذي تفشى في المجتمع الاسبارطي بعد الهزيمة في الحروب، "وحتى الشجاعة في الحروب التي ميزتهم كمجتمع أيام مجدهم، فإنها ضعفت وأصبح بعضهم لا يخجل من اظهار الجبن والفرار من المعارك".

ولو استعرضنا تاريخ الأمم وحضاراتها واجرينا نوعاً من الملاحظة الدقيقة لوجدنا بأن هناك أنظمة حديثة في العصر الحالي سارت على نحو النظام الاسبارطي، وألت ما آل إليه النظام الاسبارطي. "فقد رأى النازيون الألمان والفاشيون الطليان، كما رأى الاسبارطيين: إن انشاء دكتاتورية عسكرية والإبقاء عليها يعتمد إلى حد كبير على وجود رقابة تامة وواسعة على حياة أطفالهم وشبابهم". وما طبق في اسبارطة من نظام تربوي على المرأة، أخذت به هاتان الدولتان، إذ رأتا إن أهم واجب ينبغي أن تقوم به الأم الألمانية أو الإيطالية هو إعداد الأطفال الأصحاء الذين يكون بمقدورهم أداء الخدمة المطلوبة للجيش وللدولة.

إن تقييد الحريات لاسيما الفكرية منها يؤدي إلى الفشل التام لأي نظام حكم مهما اوتي من قوة، لأن القدرة على التفكير تساعد الانسان على إيجاد وسائل وسبل أخرى لتحقيق أهدافه وهذه القدرة من أهم مقومات الإنسانية، وهي التي تساعد أيضاً على إمكانية التكيف للأوضاع والظروف البيئية المتغيرة والجديدة.

ويبدو واضحاً إن للتربية درواً كبيراً ورئيساً في بناء نوع من المجتمع وفقاً لما يريده قادته، وهذا يعني إن الاقتصار على جانب واحد بحد ذاته أمر غير ناجح وإن كتب له النجاح، فيكون لفترة قصيرة ثم يهوي، وعليه لا بد من اعتبار التربية عملية تنموية متطورة تشمل نواحي الحياة المختلفة والمتباينة، وألا تقتصر على جانب واحد منها دون آخر.

التربية الاثينية

لقد ساهمت عوامل عديدة في تقدم المجتمع الاثيني وتطوره منها، أن الموقع لأثينا أدى إلى اتصال الاثينيين بالحضارات الشرقية والجنوبية عن طريق التجارة عبر البحر الأبيض المتوسط. مما ساعد على ازدهارها وتفوقها على غيرها من دول اليونان الأخرى. كما إن المناخ المعتدل وقلة تغيره، ساعد الاثينيين أيضاً على التمتع بالمعيشة فب الهواء الطلق، وعدم الحاجة إلى ارتداء الملابس التي تعيق نمو الجسم وحركته، وإن وجود طبقة من التجار مكن التربية الاثينية من أن تستفيد من الخبرات المتعددة في المجال الدولي.

واختلفت أثينا عن غيرها من دول اليونان في النظم السياسية والاقتصادية والتربوية، باتسام هذه النظم بالمرونة. فلم تحاول أثينا –بالنسبة للنظام التربوي- أن تخضع التعليم لرقابتها، كما هي الحال في اسبارطة، بل تركت شؤونه في أيدي أولياء أمور الطلبة. وبذلك فقد تنوعت المدارس وتباينت مناهجها وأهدافها، وكان كل نوع من أنواع المدارس يهدف إلى تنمية جانب من جوانب النمو.

وبصورة عامة هدفت التربية الاثينية إلى تكوين المواطن الاثيني المتكامل من النواحي الجسمية والعقلية والخلقية، بحيث يتمكن من الدفاع عن وطنه والذود عنه، وأن يسهم بشكل فعال في اغناء

ثقافة وطنه. وقد احتلت التربية الجسدية في أول عهود الجمهورية الاثينية مكانة مرموقة، وكانت الدولة آنذاك تتدخل بشكل مباشر في توجيه ورعاية المدارس الرياضية. ولكن ما لبثت التربية الاثينية بعد ذلك حتى كانت "أميل إلى الثقافة الفكرية والأدبية ولا سيما حوالي القرن السادس ق.م."

وإلى جانب التربية البدنية، فقد اهتمت أثينا بالموسيقى، وأنشأت مدارس خاصة لتعليمها، يشرف عليها ويديرها أفراد تعود إليهم ملكيتها، ولكنها في الوقت نفسه تحت إشراف الدولة التي قامت أيضاً بالإشراف على الأطفال في منازلهم.

وحظيت الاسرة الاثينية بتقديس الدولة واحترامها لها واعتبرتها العنصر الأساسي والعمود الرئيس في بناء شخصية الطفل وتطويرها.

وقبل الخوض في التربية الاثينية ونظم التعليم في أثينا ينبغي علينا أن نعرف بعض الشيء عن طبيعة التركيب الطبقي لهذا المجتمع. فالمجتمع الاثيني يتكون من المواطنين والأجانب والعبيد. ولم تكن لطبقة العبيد أية حقوق مدنية إنما كانت هناك بعض التشريعات تحميهم من عبث الأحرار واضطهادهم ولم يكن للأجانب حق الاشتراك بالحكومة ولا تملك الأرض، إنما لهم الحق في أن يعملوا بالتجارة شرط دفعهم لضريبة سنوية وقد يخدموا في بعض الأحيان في الجيش أو البحرية.

لقد برزت في التربية الاثينية اتجاهات ثلاثة ميزتها عن بعضها من المجتمعات تحدد الاتجاه الأول نحو جعل مصلحة الدولة فوق كل شيء في حين تركز الاتجاه الثاني نحو التربية المتناسقة التي تشتمل على تربية المواطن الاثيني من النواحي الجسمية والعقلية والخلقية والجمالية، أما لاتجاه الثالث فقد أكد على الفصل التام للتربية الحرة عن التربية المهنية حيث حظيت الأولى بالاحترام والتقدير وامتدحت من قبل اليونانيون القدماء أمثال أرسطو وأفلاطون واحتقرت التربية المهنية التي يأمل منها الحصول على كسب العيش وهي تصلح لعامة الشعب.

تبدأ التربية الاثينية من الاسرة حيث يعهد إليها بتربية الطفل حتى يبلغ السابعة من عمره، واهتمت التربية هذه بالناحية الجسمية عن طريق التربية البدنية. ولم تكن الأمهات الاثينيات يقمن بمهمة تربية أطفالهن - كما هي الحال في اسبارطة- بل كان الأطفال يتركون في الغالب إلى المرضعات والعبيد. إذا كانت العائلة ثرية وإذا كانت العائلة متوسطة الحال، فإن الأم هي التي تقوم بتغذية وليدها وتربيته بنفسها.

وعلى العكس من اسبارطة، فقد ترك أمر الإبقاء على الطفل أو قتله للأب وليس للدولة. وغالباً ما كان الوأد من نصيب الإناث غير الشرعيين، أو الأطفال المشوهين.

وعنما يبلغ الطفل سن السابعة يرسل إلى المدرسة، ويبقى فيها حتى الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من عمره. وكان يرافق التلميذ في ذهابه إلى المدرسة وإيابه منها شيخ كبير، يقوم بمراقبة سلوك الصبي وعاداته في الحديث ومعاملة الآخرين والمشى في الطريق كما أوكلت إليه مهمة تقويم أخلاقه، ومعاقبته عند اخلاله بأداب اللياقة. ويدرب الطفل في المدرسة على التمرينات الرياضية كرمي الرمح والقرص والمصارعة والرقص والسباحة التي تهدف إلى تنمية قوة

الاحتمال البدني والرشاقة والصحة كما عنى بالموسيقى التي هدف منا تنمية حاسة الإيقاع وتذوق الانغم عند الأولاد لإضافة إلى تعليمهم الغناء والإنشاد والرقص، بغية تنمية الحواس الجمالية للفرد، وإلى جانب ذلك كله يتعلم التلاميذ القراءة والكتابة والحساب وكان تدريسها يسير جنباً إلى جنب مع تدريس الموسيقى وكان معلم واحد يقوم بمهنة التدريس لهذه المواد، وعندما بدأ الاهتمام بتدريس الموسيقى والنواحي الجمالية يقل انفصال تدريسي القراءة والكتابة عن تدريس الموسيقى.

أما اليوم المدرسي لدى اليونان فكان يبدأ منذ طلوع الشمس تعطله أعمال السوق العام بين الساعة العاشرة والحادية عشر وتستغرق الدراسة اليومية ست ساعات واعتبرت أشعار (هوميروس) هي الكتاب المفضل في القراءة، وكان اليوناني لا يتعلم غير لغته الأم وكان يتقنها بشكل كامل. ويعنى بتعليمها باللفظ ومخارج الحروف الخاصة، ونالت الكتابة أهمية كبيرة وحظيت بعناية فائقة كما كان الاهتمام منصباً على (علم العدد) أو الحساب الذي كانت أغلب مسائله تحل بطرق هندسية.

وعندما يبلغ الشاب الأثيني سن الخامسة عشرة أو السادسة عشرة يكون قد أتم دراسته الابتدائية التي تستمر لمدة ثمان أو تسع سنوات. وفي هذه المرحلة يعفى الشاب من مرافقة الشيخ له وإشرافه عليه في ذهابه للمدرسة وإيابه منها وبذلك فقد اكتسب قسطاً أوفر من الحرية. وفي هذه المرحلة أيضاً تنتهي دراسته للأدب وللموسيقى ويبدأ يتدرب على الألعاب الرياضية حيث يندمج مع من هم في سنه من الشبان البالغين، ويكون تدريبه تحت إشراف موظف حكومي مكلف بهذه المهمة.

وتمثل هذه الفترة مرحلة انتقال من البالسترا إلى الجمنازيوم العام، الذي هو عبارة عن ساحة عامة تكون محل دراسة الشاب الاثيني حتى يبلغ الثامنة عشرة من عمره، ويتلقى الشاب في هذه المرحلة تدريبات جسمية عنيفة وبعض الفنون الحربية.

ولم يكن التدريب العقلي للشباب عن طريق المدارس النظامية ولكن تمكن الشاب الاثيني الحصول على قدر من المعرفة العقلية عن طريق اختلاطه بمن هم أكبر منه سناً وأكثر منه خبرة وتجربة ودراية، وكذلك بالاستماع إلى المناقشات وبمشاهدة الروايات التمثيلية والاستماع إلى قضايا المحاكم.

وبعد أن يكتمل نمو الشاب الاثيني من النواحي الجسمية والعقلية والخلقية الذي غالباً ما يتم في سن الثامنة عشرة ينخرط في سلك الجندية حيث يتدرب على فنون الحرب والحياة العسكرية لكي يعد جندياً مؤهلاً للدفاع عن أثينا إذا اقتضى الأمر ذلك ويستمر في الخدمة العسكرية لمدة عامين.

وعندما ينهي المواطن الاثيني سنتين الخدمة في الجيش يتقدم إلى (الجمعية العامة) ويتقبل من الدولة رمحاً ودرعاً، ويصبح مواطناً ثم يقسم أمام المواطنين كبار السن أن يكون مخلصاً للقوانين والعرف، وأن لا يهجر دولته يظل على الدوام مستعداً للذود عن حياض وطنه.

تربية البنات:

كان نصيب الفتاة الاثينية من التربية قليلاً أو يكاد يكون معدوماً، إذ اقتصر تعليمها على القيام بالواجبات الاعتيادية التي ينبغي أن تقوم بها كل ربة بيت، وذلك عن طريق أمها التي تولت هذه المهنة المتمثلة بأعمال الغزل والنسيج والحياكة وأعمل الابرة ورعاية المرضى والاهتمام بالمظهر والجمال، ولا يسمح للفتاة للخروج من بيتها إلا في بعض المناسبات الدينية وقد يسمح لها أحياناً بالحضور إلى المسرح لمشاهدة المسرحيات التراجيدية ولم تتح لها فرصة اللقاء بالرجل أو الاختلاط معه، أما بالنسبة لزواج الفتاة الاثينية فيقرره والدها في أغلب الأحيان ولا يحق لها إبداء أية معارضة في هذا القرار وغالباً ما يكون زواج الاثينيات عند بلوغهم الخامسة عشرة من العمر.

ويبقى الخروج من البيت محظوراً على الفتاة بعد زواجها، "ونساء الأحرار لا يخرجن إلا بإذن من الزوج وبحراسة عبد".

لقد كانت فرص التعلم ودخول المدارس مقتصرة على أبناء الأثرياء الذين يتمكنون من دفع تكاليف الدراسة، أما الشبان غير الأثرياء فكانوا يخرجون لمعترك الحياة للبحث عن عمل كسب العيش إلا إذا انتخبوا ليكونوا حملة مشاعل في الأعياد الرياضية العامة وفي هذه الحالة كانوا يحصلون على التدريب مجاناً في الجمنازيوم.

ومن خلال هذا العرض الموجز لنظام التربية الاثينية يمكن القول بأن أثينا اهتمت بتربية الأفراد تربية اتسمت بالموازنة والتناسق فإلى جانب عنايتها بالنواحي الجسمية اهتمت بالنواحي العقلية والخلقية أيضاً، وبذلك فقد اعتبرها المهتمون بقضايا التربية منبعاً للعلم والمعرفة اللذين كانا سبباً في حدوث النهضة الغربية الحديثة.

لقد كان النظام التربوي الاثيني نظاماً موفقاً حيث اشترك أبناء الشعب في شؤون التعليم لا سيما في المرحلة الأولى في حين قامت الدولة بالإشراف المباشر على المراحل اللاحقة للتعليم وكرست المناهج الدراسية لموضوعات محببة إلى قلوب الطلبة، فقد كان ثلثا هذه المناهج تقريباً من دراسات تتعلق بالموسيقى والرياضة البدنية وكانت المناهج الخاصة بالمرحلتين الثانوية والعالية غنية بالآداب والعلوم والنحو والخطابة والفلسفة والرياضيات.

الفصل الثالث

التربية العربية الاسلامية

مرت التربية العربية الاسلامية بمراحل وأدوار متعددة، قسمها بعض المعنيين بالتاريخ التربوي العربي إلى خمس مراحل، وفقاً لما شهدته الامة العربية من تقدم وازدهار خلال فترات الخلافة الاسلامية، بدءاً بعهد الخلفاء الراشدين وانتهاء بمرحلة انهيار الدولة العربية وتداعيتها على أثر الغزو الهجري الذي قام به المغول بقيادة سفاحهم المشهور هو لاكو وهذه المراحل هي:

١. مرحلة عصر ما قبل الاسلام.
٢. مرحلة ظهور الدعوة الاسلامية.
٣. مرحلة انتشار الدين الاسلامي في عهدي الخلفاء الراشدين والامويين خارج الجزيرة العربية.
٤. مرحلة العصر العباسي (العصر الذهبي).
٥. مرحلة التدهور والانحلال.

وحيث إن المراحل الأربع الأخيرة تمت خلال فترة انتشار الدعوة الاسلامية، وإن المرحلة الاولى كانت في فترة ما قبل الرسالة الاسلامية السامية، لذا فان من الممكن تقسيم هذه المراحل الخمس إلى مرحلتين متميزتين لكل منهما طابعها الخاص، وهي:

١. مرحلة التربية في عصر ما قبل الاسلام.
٢. مرحلة التربية العربية في العصر الاسلامي.

وقد جاءت المرحلة الثانية متممة ومكاملة ومهذبة ومعدلة لبعض القيم التي كانت سائدة في المجتمع العربي آنذاك وذلك في ضوء تعاليم السماء وقيمها، وبذلك فقد أصبحت التربية العربية الاسلامية منظمة ومنسقة وحققت الأهداف التي جاءت من أجلها، وبلغت الامة العربية قمة التقدم فازدهرت العلوم والمعارف ونشطت حركة التأليف والترجمة من وإلى اللغة العربية وانتشرت المدارس وتعددت أنواعها، ونال بعضها شهرة علمية عالية، كما برز علماء مشهورون في مختلف أنواع العلوم والفنون والآداب واللغة.

ومن أجل أن تتكون لدينا صورة واضحة عن طبيعة التربية العربية يجدر بنا التطرق إلى اطارها العام والمبادئ والاسس التي استندت عليها.

أولاً: التربية العربية في عصر ما قبل الإسلام:

امتازت التربية العربية في عصر ما قبل الإسلام ببساطتها فقد كان الهدف الأساس الذي تنشده هذه التربية هو اعداد جيل قادر ومؤهل لحصول على ضروريات الحياة وحفظها. وبحكم البيئة الصحراوية للجزيرة العربية، ساد ذلك النوع من التربية الذي يستند إلى التقليد ومحاكاة الآخرين والتدريب على القيام بأعمال الكبار، بغية تمكين الفرد من كسب العيش والمحافظة على حياته بالدفاع عن نفسه وعائلته وقبيلته ضد اعدائه من بني جنسه وضد الوحوش الضارية.

واحتلت الاسرة البدوية دوراً كبيراً متميزاً في عملية التربية، واهتبرت من أهم وسائل التربية في ذلك العصر، اضافة إلى دور العشيرة الواضح في هذه المهمة والتي يمكن اعتبارها صورة مكبرة للاسرة. وتقوم العشيرة والاسرة بتدريب أطفالها منذ نعومة أظفارهم على بعض الفنون والصناعات الضرورية لحياتهم كرمي الرماح والسهام واعداد أدوات الحرب، وعمل الأواني، وغزل الصوف وحيافته ملابس لهم وتربية الماشية. كما يدرّب الأطفال على المبارزة وركوب الخيل، وكانت تلقى على مسامعهم قصص الغزوات والحروب بين القبائل ويشجعون على حفظ الشعر والنثر، لما لهما من أهمية كبيرة في حياتهم المقبلة.

ولم يكن لدى عرب البادية معاهد أو محلات مخصصة للتعليم، بل كانت المحلات العامة والمجالس والأسواق والبيوت هي الأماكن التي يحصل بها الناس على بعض العلوم والمعارف التي كانت سائدة آنذاك كالتنجيم، والفلك والطب، ومن أشهر الأسواق العربية التي يمكن تشبيهها بالأندية اللغوية والمجامع العلمية والتي ساهمت بنشر المعرفة والعلوم لدى العرب: " سوق عكاظ قرب الطائف " و " مجنة " قرب مكة و " ذو المجاز " على فرسخ من عرفة.

واعتمد بدو الجزيرة العربية في تربية ابنائهم وتثقيفهم على التقليد والمحاكاة والاستماع إلى ما يقال من نصائح وحكم، ولم تكن لديهم وسائل أو أساليب محددة في عملية التربية هذه، وبذلك يشب الطفل متشعباً بما لدى أبناء قبيلته من عادات وقيم وعرف بصورة غير مباشرة ولا موجهة، فيتمسك بها ولا يتنازل عنها حتى إذا كلفته، في بعض الأحيان، حياته.

وإذا ما اتجهنا صوب عرب الجزيرة الحضر، وجدنا نوع آخر من التربية، يختلف عن التربية البدوية من حيث أساليبها ووسائلها وأهدافها. فقد هدفت التربية الحضرية إلى تخريج الأحداث في الصناعات المختلفة والمهن المتنوعة كالهندسة والطب والبناء والنقش والتجارة.

كما كانت التربية في هذا العصر تستهدف بث العادات الفاضلة وغرس الصفات الخلقية التي اشتهر بها العرب منذ القدم.

وامتازت التربية لدى الحضرة بكونها منظمة تنظيماً يتفق والمستوى العمري للطلبة حيث يدرس الأطفال في المرحلة الأولى بعض المواد الدراسية المحددة كالهجاء والمطالعة والحساب وقواعد اللغة. وهذه المرحلة أشبه بالمرحلة الابتدائية في الوقت الحاضر. وفي المرحلة الثانية التي تشبه التعليم العالي حالياً، فكان الطلبة يدرسون علوماً متنوعة تتناسب ومستوى قدراتهم العقلية وقابلياتهم واستعداداتهم ومنها: " الهندسة العملية وعلم الفلك والطب وفن العمارة والنقش والآداب والتاريخ".

أما طريقة التدريس لدى الحضرة، فقد اتخذت طابع التدريس الفردي، حيث كان المعلم يخصص جزءاً من وقته لكل تلميذ من تلاميذه، فيعلمه من علمه، كما تنوعت المدارس ومعاهد التعليم، إضافة إلى وجود الدور التي يرتادها طالبو العلم ورواده، والتي سميت بـ " دور العلم".

لقد اكتسبت التربية العربية في مرحلة ما قبل الإسلام سمات وصفات وفدت إليها من البداية، ومن الحضارات الأخرى، التي كانت مزدهرة آنذاك في بعض البلدان كحضارة تدمر وسبأ، وبظهور الإسلام تطورت التربية العربية واتخذت مساراً جديداً مستوحى من مبادئ وقيم الدين الجديد.

التربية العربية في العصر الإسلامي

لقد انعكست المبادئ والقيم التي جاء بها الإسلام على التربية العربية. فقد دعا الدين الجديد منذ لحظة ظهوره إلى العلم والتعلم. فأول آية نزلت على النبي "ص" تضمنت أمراً بالقراءة في قوله تعالى: " اقرأ باسم ربك الذي خلق"، وتضمن آية أخرى حديثاً عن القلم أداة الكتابة والعلم والتعلم كما في قوله تعالى: " الذي علم بالقلم"، وهذا يعني إن على المسلمين الاهتمام بهذا الأمر والعمل على نشره في أرجاء الأرض، لما له من أهمية في حياتهم في الدنيا والآخرة.

وأكد القرآن الكريم في آيات كثيرة على التعليم وأهميته وضرورته، وبين فضل العلم كقوله تعالى: " هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون"، وقوله تعالى: " إنما يخشى الله من عباده العلماء"، وقوله تعالى: " فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون"، وقوله تعالى: " يرفع الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات"، إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي تمجد العلم وأهل العلم.

وفي أحاديث النبي محمد "ص" الشريفة تأكيد على الاهتمام البالغ بضرورة العلم، فقد قال رسول الله "ص": " طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة"، وبهذا الحديث أوجب النبي "ص" تعلم العلم، واعتبره فريضة ينبغي على المسلمين والمسلمات في أرجاء البلاد العربية تأديتها. كما حث النبي "ص" أيضاً على طلب العلم منذ الصغر حتى أواخر العمر عندما قال: " اطلب العلم من المهد إلى اللحد"، وكباحث على طلبه من أبعد الأماكن كما في قوله: " اطلبوا العلم ولو في الصين". وقوله: " لا خير في امتي ممن كان ليس بعالم ولا متعلم".

وأعطى النبي "ص" للعلم منزلة أعلى من العبادة بحديثه: " مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة ". وأكد على التواضع والاحترام عندما قال " تعلموا العلم وعلومه الناس، وتعلموا الوفاق والسكينة، وتواضعوا لمن تعلمتم منه العلم، وتواضعوا لمن علمتموه العلم، ولا تكونوا جبابرة العلماء".

إن الآيات البيّنات التي تمت الإشارة إليها والأحاديث الشريفة التي سبق ذكرها تؤكد لنا بأن الاسلام دين العلم والتعلم وقد حث على تحصيل العلم بثتى صنوفه وأنواعه. ولم يقتصر على علم الدين فحسب. بل عنى المسلمون بدراسة اللغة والادب والتاريخ والجغرافية والكيمياء والفيزياء والطب والهندسة والفلك وغيرها.

لقد انتشر الدين الاسلامي في شبه الجزيرة العربية، ثم انتقل منها سريعاً إلى الامبراطوريات المجاورة وذلك في القرن السابع الميلادي. واستمرت الدولة العربية الاسلامية قائمة حتى القرن الثالث عشر الميلادي عندما سقطت بغداد على يد هولاءكو عام ١٢٥٨. وقد تميزت التربية خلال هذه الفترة التي امتدت إلى ستة قرون بأطوار ومراحل متباينة لكل مرحلة خصائصها ومميزاتها.

ولم يتمركز هدف التربية عند المسلمين على الجانب الديني والدينيوي. وهي بهذا تخالف النظم التربوية التي سبقتها. فالتربيتين اليونانية والرومانية ركزت على الناحية الدنيوية فقط. وكانت التربية اليهودية متمركزة على الجانب الديني فقط.

ونظراً للمكان الرفيعة التي احتلها العلم والتعلم عند المسلمين، "فقد روي ان الرسول الكريم كان يطلق سراخ الاسرى المتعلمين من الكفار إذا قامو بتعليم عشرًا من المسلمين الاميين القراءة والكتابة".

وتضمن التعليم الاسلامي مستويات دراسية، بمراحل تعليمية، وبمناهج وأساليب واضحة هي على وجه العموم:

١. مرحلة التعليم الاولى: تبدأ من سن مبكرة عموماً من دون تحديد دقيق، وفيها يتعلم الأطفال المبادئ الأولية من القرآن الكريم، والكتابة والحساب، وبعض التعاليم الدينية، وسمي هذا التعليم بالكتاب.

٢. المرحلة المتوسطة: وفيها يداوم طالب العلم على الدرس لدى فقهاء وعلماء ومعلمين تفرغوا كلياً أو جزئياً للتدريس، وفيها يدرس تفسير القرآن، واللغة العربية، والنحو،

والسيرة، والحديث، والفقه، والأدب، والشعر، والتاريخ، وغير ذلك من المواد الدراسية والتي اختلفت من بلد لآخر أو من منطقة إلى أخرى بحسب الظروف المتاحة.

٣. مرحلة التعليم العليا: ويتم فيها الدراسات العليا الراقية لدى علماء وفقهاء مشهورين في مختلف جوانب المعرفة، وحد التعليم هنا يتوقف على قدرة طالب العلم وجهده ووقته، وتتم الدراسة هنا في الغالب في دور الحكمة والصالونات الأدبية، ومنازل العلماء، والمساجد الكبيرة في العواصم أو المدن الشهيرة.

مراحل التربية الإسلامية:

مرت التربية الإسلامية بثلاث مراحل تاريخية، لكل مرحلة طابعها المتميز وهذه المراحل هي:

١. مرحلة الدعوة الإسلامية:

مع بداية ظهور الإسلام وانتشاره في شبه الجزيرة العربية، بدأت هذه المرحلة، وقد امتازت التربية فيها بالبساطة وعدم التعقيد، إذ كان الاهتمام منصباً بالدرجة الأولى على تعليم القراءة والكتابة فقط. وكان القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد المعتمد في هذه العملية. ولم يكن الفكر التربوي في هذه المرحلة مقتصرًا على الناحية التربوية الصرفة، بل امتزج هذا الفكر بالفكر السياسي والاقتصادي والاجتماعي والتاريخي، مما يشكل الإطار العام للايدولوجيا الإسلامية. واستمر هذا المسار الفكري في عهد الخلفاء الراشدين. وعندما تمتعت الدولة العربية الإسلامية بنوع من الاستقرار السياسي بعد أن قاربت الفتوحات الإسلامية نهايتها في عهد الامويين، اتجه المسلمون إلى الثقافات والحضارات الموجودة لدى البلاد المفتوحة، وبدأت نهضة علمية شاملة، كانت العلوم الدينية كالقرآن والتفسير أساساً لها. كما اهتم الامويون بالعلوم النقلية المتصلة بالقرآن الكريم كالحديث وأصول الفقه والتفسير، اضافة إلى اهتمامهم بعلم اللغة والنحو والبيان والأدب.

وظل القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة هي الإطار الفكري الذي ينتظم ذلك الفكر التربوي المتناثر في وصايا الخلفاء لمؤدبي أبنائهم. واستمرت هذه المرحلة حتى بداية تأسيس الدولة العباسية في العراق.

٢. مرحلة الازدهار والتقدم:

بعد أن أتم المسلمون فتوحاتهم، وأكملوا نشر الدعوة الإسلامية في البلاد المفتوحة وطبقوا التعاليم والقيم السماوية التي جاء بها الدين الجديد في المجالات كافة، حظيت الدولة العربية الإسلامية بنوع من المركزية والتوجيه المتكاملين في إدارة الأمصار العربية، وعند ذاك انصرف الخلفاء والامراء والقادة المسلمون إلى نشر العلم والمعرفة بين جميع المواطنين دون تفریق أو تمييز. حتى بلغ النشاط الفكري درجة من الرقي والتقدم لم يبلغها من قبل، وذلك في القرن الرابع الهجري.

ونتيجة لاحتكاك المسلمين الفاتحين بثقافات البلدان المفتوحة، تم تلقيح الثقافة العربية بثقافات فارس والهند واليونان والرومان، حيث اقتبس المسلمون من هذه الثقافات أموراً كثيرة تتعلق بجوانب مختلفة من العلوم والفنون كان لها أكبر الأثر في تطور الحضارة العربية ورفيها. فقد قام المسلمون المضطلعون بالعلم والمعرفة بترجمة الكتب اليونانية والفارسية والهندية إلى اللغة العربية ونقلوا معارفهم إلى تلك الحضارات بترجمتها إلى اللغات المختلفة، كما قاموا أيضاً بشرح النظريات العلمية والفلسفية، والتعليق عليها وتبسيط أسلوبها بحيث يمكن فهمها واستيعابها. وكان للمراكز الإسلامية الترابية في بغداد والقاهرة وقرطبة، أثر كبير في تنشيط هذه الحركة العلمية وتشجيع البحث والتتبع العلمي. ومن العوامل التي ساعدت على انتشار العلوم في هذه المرحلة اتساع صناعة الورق بعد ان كان العرب قبل الاسلام يكتبون على الرق وعلى الحجارة وعلى الجريد. وكذلك كان للهيئات الحاكمة أثر كبير على تشجيع العلم حيث كان يصرف للطلبة رواتب لتغطية نفقات المعيشة والسكن، إضافة إلى توفير ما يحتاجه هؤلاء الطلبة من كتب ومصادر ولوازم اخرى.

لقد اهتم المسلمون في العصر العباسي، الذي اطلق عليه (العصر الذهبي)، بالتربية والتعليم اهتماماً بالغاً، فأنشأ الخلفاء العباسيون العديد من المؤسسات التربوية، أشهرها المدرسة النظامية، والمدرسة المستنصرية، والمدرسة النورية الكبرى والمدرسة الناصرية. كما كانت هناك الكتاتيب والمساجد والقصور والاماكن العامة وحوانيت الوراقين التي ساهمت بشكل فعال على نشر العلم والمعرفة بين الجميع.

وامتاز الفكر التربوي في هذه المرحلة بالشمول واتساع النظرة والعمق والاصالة. ولم يكتف العلماء المسلمون بدراسة علم واحد فقط بل طرقت أبواب العلوم المختلفة. فالعلوم العقلية التي لم تحظ بنصيب وافٍ من العناية والاهتمام، ابان حكم الامويين، أخذت بالتقدم والازدهار وبلوغ أوج عظمتها في عصر العباسيين. ومن هذه العلوم: " الطب والفلسفة والرياضيات والطبيعة والكيمياء والالهييات".

وامتازت العقلية العربية بظاهرة العقلية العلمية، فقد أجرى العلماء العرب التجارب والابحاث المتنوعة التي نالت اهتمام الخلفاء ورعايتهم، ولم يستسلموا للخرافات والمعتقدات التي تفتقر إلى الدليل والبرهان. واستخدمت نتائج أبحاثهم وتجاربهم هذه في ميادين متعددة كالزراعة والصناعة والملاحة والتجارة والصحة.

٣. مرحلة التدهور والانحلال:

لقد خلت التربية العربية الاسلامية خطوات ايجابية متطورة وواسعة واحرزت تقدماً مذهباً في شتى صنوف العلم، وانتشرت العلوم والمعارف في ارجاء البلاد الاسلامية، وشيدت المدارس المختلفة وأعد المعلمون الأكفاء وهيأت مختلف السبل التي من شأنها أن تيسر عملية الحصول على العلم والمعرفة، فارتفعت نتيجة لذلك راية الحضارة العربية عالياً. وبلغ صيتها أرجاء الأرض ونال العرب المسلمون شهرة علمية راقية، في مختلف أنواع العلوم والفنون. ولكن

بمجيئ السلاجقة الاتراك إلى الحكم واهتمامهم الكبير بالناحية الحربية واهمالهم للعلوم الطبيعية والفلسفية ومحاربتهم لها، أخذت المسيرة التربوية العربية بالتعثر، نتيجة للاهمال والمحاربة المتعمدتين. وكادت أن تتوقف عن اتمام رحلتها التاريخية.

كما إن ظهور قبائل المغول في اواسط اسيا في القرن الثالث عشر الميلادي، وقيامها بالهجوم الوحشي على البلاد الاسلامية، وقضائها على الخلافة العباسية في بغداد عام ١٢٥٨ م. أدى إلى تحطيم معالم الثقافة العربية الاسلامية، بجانبها الديني والديني، في بغداد وما جاورها من الأمصار الاسلامية، كما أدى إلى إضعاف الوحدة الفكرية بين العرب والمسلمين في مختلف أرجاء البلاد العربية الاسلامية. وبذلك سادت فترة مظلمة اختفت فيها معالم الحضارة العربية كلياً، وعاش السكان في حالة من القلق والتوتر، وعم الجهل والخلف بينهم، وانتكست راية العلم والمعرفة، بعد إن كانت خفاقة، ترشد الجميع إلى طريق الخير والصواب.

المؤسسات والمعاهد التربوية عند المسلمين

لقد سبقت الاشارة إلى أن الاسرة التربوية مارست مهامها التربوية بشكل مؤثر وفعال، ذلك إن تربية الأطفال أول ما تبدأ في البيت، وما أن يكون بمقدور الطفل التكلم حتى يقوم والده بتعليمه كلمة " لا اله إلا الله " فإذا بلغ السادسة من عمره ترتب عليه القيام بفرض الصلاة وبها تبدأ تربيته الرسمية، ومن أهم المعاهد التعليمية لدى المسلمين ما يلي:

1. الكتاب:

يعني الكتاب المكان الذي يتم فيه تعليم القراءة والكتابة. وقد عرف الكتاب في بلاد العرب في مرحلة ما قبل الاسلام وكان الهدف من تأسيسه هو تعليم القراءة والكتابة. وبعد ظهور الاسلام، أصبح الكتاب المكان الرئيس للتعليم، حيث كان يتعلم فيه الأطفال قراءة القرآن الكريم أولاً، والكتابة ثانياً. إضافة إلى تعلم قصص الأنبياء والمرسلين والأحاديث النبوية الشريفة، والقواعد الأساسية في الرياضيات والأشعار إلا ما كان غرامياً. وكانت طريقة التدريس قائمة على الحفظ والتلقين وقوة الذاكرة. وقد حظيت هذه المؤسسة التربوية بمكانة مرموقة في الحياة الاسلامية وهي بمثابة المدرسة الابتدائية في الوقت الحاضر. ويبدو إن هناك نوعين من الكتابات، اختص الأول بتعليم القراءة والكتابة في حين اختص الثاني بتعليم الامور الدينية كقراءة القرآن الكريم وشرح وتفسير مبادئ الدين.

2. المسجد:

أصبح المسجد المؤسسة التربوية الثانية التي أخذت على عاتقها نشر التربية والتعليم بين المسلمين، في عهد النبي محمد "ص" والخلفاء الراشدين. وتاريخ التربية العربية الإسلامية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بهذه المؤسسة ففيها قامت حلقات العلم والدراسة واستمرت لسنين عديدة. " ولم يكن المسجد مكاناً للعبادة فقط، بل كان محكمة للتقاضي ومكاناً للدراسة وميداناً لاجتماع الجيش وداراً لاستقبال السفراء ". ففي المسجد النبوي الشريف والمساجد الأخرى التي شيدت في عهد النبي (ص) والخلفاء الراشدين كانت تدرس أمور الدين وتشرح تعاليم الدين الجديد. وقد حذا الخلفاء الآخرون بعد الراشدين حذو من سبقهم في اعتبار المسجد مركزاً فكرياً وثقافياً وتربوياً، على الرغم من إن هدفه كان دينياً، وذلك تقديراً منهم للعلم والمعرفة، واعطاء التعليم مرتبة ثانية بعد أمور الدين.

ولم تكن الحلقات العلمية التي تعقد في المساجد مقتصرة على الدراسات الدينية بل شملت غيرها من العلوم والمعارف. فالدراسات اللغوية والأدبية كانت تتم في المسجد إضافة إلى تدريس الطب فيه. وهذا الأمر يبين لنا بأن المسجد منذ نشوءه تولى مهمة نشر العلم. دون الاقتصار على جانب واحد محدد. فهو بمثابة الجامعة الحالية. ومن أشهر المساجد والجوامع التي قامت فيها حلقات العلم ما يلي: جامع المنصور وجامع دمشق وجامع عمرو بن العاص.

3. المعاهد والمدارس:

انتشرت المعاهد والمدارس في الدولة العربية الإسلامية انتشاراً واسعاً حتى شملت المدن والقرى الصغيرة. إضافة إلى العديد من المدارس الكبرى التي قامت شامخة في بغداد والقاهرة وقرطبة، والتي درس فيها مختلف أصناف العلوم والفنون. ومن أشهر هذه المعاهد والمدارس ما يلي:

(أ) بيت الحكمة:

أسسه المأمون عام ٨٣٠ م في بغداد. ويعتبر أول كلية إسلامية للدراسات العليا. " فقد كان معهداً للعلم ودار كتب عامة وله مرصد ملحق به ". وهناك من يقول بأن هارون الرشيد هو الذي أسس بيت الحكمة، وقام المأمون بتوسيعه أيام خلافته. وقد كان يجتمع في هذا البيت زمن المأمون صفوة العلماء والادباء، ويحج إليه طالبوا العلم والمعرفة. وفيه أيضاً استنسخت كتب كثيرة وترجمت مؤلفات عديدة من لغات أجنبية إلى اللغة العربية.

(ب) المدرسة النظامية:

لقد أنشأ الوزير السلجوقي نظام الملك مدارس عديدة باسم " المدارس النظامية " إذ لم يخل بلد من شيء منها. وتحتل المدرسة النظامية في بغداد منزلة رفيعة في نفوس المسلمين، ويمكن اعتبارها أول مؤسسة علمية في الإسلام. فقد هيء للطلبة فيها جميع أسباب العيش، وأصبحت انموذجاً لمدارس المسلمين في العصور الوسطى، ومثالاً لما قام بعدها من مدارس ومعاهد للتعليم العالي.

واختصت هذه المدرسة بتعليم الفقه، وهي أول مدرسة رسمية اعترفت بها الدولة، وقام بالتدريس فيها نخبة من العلماء والمشاهير أمثال الامام الغزالي حيث جلس للتدريس فيها مدة أربع سنوات وقد بدأ العمل في هذه المدرسة عام ٤٥٧ هـ وكانت على شاطئ دجلة واسغرق بنائها عامين وعندما انتظمت احوالها وفد اليها طلبة العلم من أرجاء البلاد الاسلامية لينهلوا من منابع العلم والمعرفة فيها.

(ج) المدرسة المستنصرية:

بنى هذه المدرسة الخليفة العباسي المستنصر بالله في بغداد وذلك في عام (١٢٣٤ م) أي ٦٢٦ هـ وقد زودت بساعة من نوع المزولة وجهزت بالحمامات والمطابخ كما كان فيها مستشفى وداراً للكتب. وتعتبر هذه المدرسة من أجمل المدارس الاسلامية في القرن الثالث عشر وكان الغرض الرئيس لهذه المدرسة هو تدريس الفقه ودراسة المذاهب الدينية الأربعة.

(د) المدرسة النورية الكبرى:

إن الذي أنشأ هذا المعهد هو نور الدين محمود زنكي سنة ٥٦٣ هـ في مدينة دمشق وقد ضمت هذه المدرسة مرافق عديدة منها الايوان الذي يرادف (قاعة المحاضرات) بالتعبير الحديث والمسجد ومسكن للطلبة وقام نور الدين كذلك بانشاء المدارس العديدة التي انتشرت في مدن سوريا وقراها الصغيرة.

وأنشأ الايوبيون مدارس عديدة في كل من مصر وبيت المقدس ودمشق وقد أشار ابن جبير في احصائيته عن عدد المدارس في الدولة العربية الاسلامية الى ان هناك ما يقرب من ثلاثين مدرسة في بغداد ونحو عشرين مدرسة في دمشق، وفي الموصل ستاً أو أكثر، وفي حلب مدرسة واحدة.

٤. منازل العلماء:

يمكن اعتبار دار الأرقم بن أبي الأرقم أول مؤسسة تربوية اتزها الرسول الكريم (ص) مركزاً لتعليم الصحابة الذين آمنوا بالدين الجديد، منذ بزوغ نوره، تعاليم ومبادئ هذا الدين. " كما كان الرسول (ص) يجلس بمنزله بمكة ويلتف حوله المسلمون ليعلمهم ويزكيهم". ولعبت بعض منازل العلماء دور المدارس حيث كان يقصدها الطلبة لتلقي العلم فيها على ايدي أصحابها. ومن ومن أهم هذه المنازل: بيت الشيخ الرئيس ابن سينا، وبيت الامام الغزالي، ومنزل أبي سليمان السجستاني.

٥. حوانيت الوراقين:

نتيجة لانتشار الورق واستخدامه في أرجاء البلاد الاسلامية، كثرت الكتب، واصبحت عملية اقتنائها سهلة للراغبين فيها. وظهرت المكتبات وحوانيت الوراقين. ومما يلفت الانتباه إن هذه الحوانيت والمكتبات ساهمت مساهمة فعالة في نشر العلم والمعرفة، إذ لم يكن غرضها تجارياً صرفاً، بل كانت أماكن مناسبة لاجتماع الادباء ومحبي المعرفة، تثار فيها المناقشات والتي غالباً ما تتحول إلى ندوات علمية تطرح فيها مختلف الآراء حول الموضوع الواحد.

وقد انتشرت هذه الحوانيت في العواصم والبلدان المتلفة. ومارس الوراقون مهمة نسخ الكتب المهمة وعرضها للراغبين فيها. ومن أشهر الوراقين الذين امتازوا بالثقافة، ابن النديم صاحب الفهرست، وياقوت الحموي مؤلف معجم الادباء ومعجم البلدان.

٦. القصور:

اتخذ الخلفاء والعظماء قصورهم أماكن لتعليم ابنائهم باشراف معلمين خاصين يذهبون إلى القصور لتزويد الاولاد بقدر من الثقافة والمعرفة التي تؤهلهم لتحمل الاعباء التي سينهضون بها. وكان الأب هو الذي يضع المنهج المقرر لتعليم ابنه أو يشارك في وضعه وتخطيطه. وقد أطلق على المعلم الاصل الذي توكل اليه مهمة تعليم ابناء الخلفاء والامراء والاغنياء اسم " مؤدب". وقد طا الفاطميون في هذا المجال خطوات واسعة، حيث قاموا بانشاء مدارس خاصة في قصورهم يلتحق بها اولاد الطبقات المترفة، ذات الشأن والنفوذ.

وانتشرت الصالونات الأدبية في زمن الليفة الاموي الأول معاوية بن أبي سفيان، حيث كان يستدعي إلى مجلسه بعض العلماء والادباء و أرباب السير ليقرأوا له ويحدثوه عن تاريخ العرب ومواقعهم الشهيرة. وعن تاريخ ملوك الفرس ونظم حكوماتهم واداراتهم. واتخذت هذه

الصالونات شكلاً أروع وطابعاً متميزاً في العصر العباسي، عندما نظمت لها أوقات محددة للانعقاد، وكانت أماكنها قصور الخلفاء والأمراء والعظماء. وازداد نشاطها في عهد الرشيد، فكانت تجري بين العلماء مناقشات حول قضايا العلم، وبين الشعراء مناظرات بشأن الشعر، وبين الأدباء والفنانين مساجلات حول الأدب والفن.

وقد غص بلاط المأمون بالعديد من العلماء والأدباء والفلاسفة والأطباء والشعراء، ونالوا من المأمون عناية واحتراماً فائقين.

وخلاصة القول، فإن هذه القصور والصالونات بما تضمنته من أمور عديدة طرحت للمناقشة وابداء الرأي من قبل المشاركين في الجلسات، يمكن اعتبارها بمثابة الجامعات في الوقت الحاضر، لأنها شملت مختلف صنوف العلم والمعرفة، وشارك في إدارة هذه الندوات نخبة ممتازة من العلماء والفلاسفة، وتخرج فيها طلبة نالوا سمعة طيبة.

المكتبات العامة

انشأ الخلفاء والملوك والأمراء مكتبات خاصة ألحقت بقصورهم، وكان البعض من هذه المكتبات يطلق عليه " مكتبات بين الخاصة والعامة " كمكتبة الناصر لدين الله ومكتبة المعتصم بالله. وقد ضمت هذه المكتبات التي تسمى آنذاك بـ " الخزائن " كتباً نفيسة ومخطوطات نادرة في موضوعات الدين والأدب والمنطق والفلك والفلسفة، وغيرها من العلوم الأخرى. ومن أهم هذه المكتبات:

١. دار الحكمة بالقاهرة التي أنشأها الحاكم بأمر الله الفاطمي عام ٣٩٥ هـ وقد حوت بين ثناياها مليوناً وستمئة ألف كتاب في ميادين من العلم مختلفة.
٢. المكتبة الحيدرية بالنجف.
٣. مكتبة ابن سوار في البصرة، أسسها رجال عضد الدولة.

تعليم المرأة في الاسلام

لم تكن الفرص المتاحة للنساء في التعلم مساوية للفرص التي اتاحت للرجل خلال العصور الوسطى، وبذلك فقد انخفضت نسبة النساء المتعلّمات إلى درجة كبيرة جداً عند المقارنة بنسبة الرجال المتعلمين. وقد اختلف المربون المسلمون في مجال تعليم المرأة، وانقسموا إلى فريقين. أجاز الفريق الأول تعليم المرأة القرآن الكريم والمور الدينية فقط، وحرمانها من تعلم الكتابة. أما الفريق الثاني، فقد منح المرأة حرية التعلم مستنداً في ذلك إلى الحديث الشريف " طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة".

"ومما يذكر عن الرسول (ص) انه حض على تعليم أزواجه الكتابة". ومما يؤكد انتصار رأي الفريق الثاني هو ما بلغته المرأة المسلمة من أقصى درجات العلم والمعرفة في الفترة المحصورة بين بداية الدعوة الاسلامية وبين القرن الرابع الهجري".

لقد حصلت المرأة على تعليمها في البيت أما عن طريق أحد أقاربها المتعلمين أو بمؤدب يدعى لها. ولم تلتحق بالكتاب صبية، ولم تجلس في حلقة الرجال شابة.

ومن أهم العلوم التي حظيت المرأة بنصيب منها: " العلوم الدينية، والأدب والموسيقى والغناء والطب ". وتجدر الإشارة إلى إن النساء كن مهتمات اهتماماً كبيراً بالدراسات الدينية والوقوف على قيم السماء الجديدة، والالمام بالشرعية وأبوابها. واسهمت المرأة المسلمة في مجالات عديدة ومتنوعة، فاشتغلت بالسياسة وشؤون الحكم " أمثال الخيزران زوجة الخليفة العباسي المهدي، وزبيدة زوجة هارون الرشيد التي برزت كمصلحة اجتماعية اضافة إلى بروزها في السياسة".

المعلمون في الاسلام

لم يكن المعلمون في صدر الاسلام خاضعين للدولة، ولم يعينوا من قبلها، وإنما كان الشخص الذي يجد في نفسه القدرة والكفاءة للقيام بمهمة التعليم يجلس في المسجد ويأتيه من يرغب في طلب العلم والدراسة. وكان المعلمون في صدر الاسلام يؤدون أعمالهم طلباً للنواب من الله. وقد تمتع هذا المعلم بنوع كاف من الحرية في تعليم من يشاء، ووقت ما يشاء، ووفق الطريقة التي يختارها، وبالاسلوب الذي يرضيه.

وبدأت الحكومات تتدخل في شؤون التعليم والإشراف عليه وتنظيمه وإدارته عندما قامت بتشبيد معاهد تعليمية، فعينت لها معلمين، وصرفت لهم رواتب مناسبة. وذلك في العصر العباسي،

حيث عين العديد من العلماء في "بيت الحكمة". وزاد إشراف الدولة على التعليم أبان حكم الفاطميين، ووضعت منهاجاً خاصاً به أشرفت على تنفيذه إشرافاً كاملاً.

وحري بنا أن نشير إلى إن الدولة العربية الاسلامية عرفت ثلاث طوائف من المعلمين هي: معلمو الكتاب، والمؤدبون، ومعلمو المساجد والمدارس.

واشترطت العرب شروطاً عديدة ينبغي توافرها في الشخص الذي يرغب أن يكون معلماً من أهمها ما يلي:

١. أن يكون مهذباً متديناً متحلياً بالأخلاق النبيلة، حليماً وقوراً، رقيقاً بطلابه.
٢. أن يستكمل عدته ويشهد له بذلك أفضل أساتذته وكبار علماء عصره أو بلدته على الأقل.
٣. أن يتفرغ للتعليم ولا يشرك بعمله الشريف هذا عملاً آخر، إلا عند الحاجة فلا بأس من القيام ببعض المهن الشريفة.
٤. أن يكون ملماً بطلبته وأحوالهم وماضيهم.
٥. أن يثني على البارع من الطلبة وقت الثناء، ويشجع الطالب المتوسط، وأن يراعي المستويات العقلية للطلبة.
٦. أن يستعين بالأمثلة والشواهد لايضاح المسائل وتقريبها إلى ذهن الطالب.
٧. أن يحافظ على الانضباط داخل الصف وألا يسمح باساءة الأدب أو حدوث الضوضاء.

الملاح العامة للتربية العربية الاسلامية

قبل الحديث عن الملاح العامة للتربية العربية الاسلامية، لا بد من الإشارة إلى أن التربية الخلقية هي الأساس الذي استندت إليه برامج التعليم الاسلامي، وقد أجمع الفلاسفة على " أن التربية الخلقية هي روح التربية الاسلامية، فالغرض الأول من التربية الاسلامية تهذيب الخلق وتربية الروح بطرق متعددة، تتفق وكلها وعلم النفس الحديث".

ومن أهم الملاح ما يلي:

١. أكدت التربية العربية الاسلامية على مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية، فلم تكن المعاهد والمؤسسات التربوية وفقاً على جماعة دون اخرى، بل كانت فرص التعليم " مكفولة للغني والفقير على حد سواء، وأن الفقر لم يقف عائقاً أمام الراغب في العلم أو الساعي لارتشاف المعرفة". وكانت أبواب المدارس مفتوحة للناس جميعاً. كما وجهت عناية خاصة للطلبة الموهوبين.

٢. اتسمت التربية العربية الاسلامية بكونها تربية شاملة تتفق ونظرة الاسلام الشمولية إلى الانسان. " فهي تعنى بالتربية الدينية والخلقية والعلمية والجسمية، دون تضحية بأي نوع منها على حساب الآخر".
٣. تمتع المعلم بحرية كافية في اختيار مواد التدريس وطرائقه، ومنح التلميذ حرية الاختيار للمدرس الذي سيتولى تعليمه. ولم تكن هناك مناهج معينة مفروضة على المعلم أو الطالب.
٤. التأكيد على ما بين الطلبة من فروق فردية، وأخذ هذه الفروق بنظر الاعتبار وضرورة مراعاتها عند التدريس.
٥. الاهتمام بميول الأطفال والمتعلمين واستعداداتهم وقابلياتهم.
٦. ساهم العديد من المسلمين ببناء المدارس والمعاهد وتزويدها بما لديهم من الكتب والمخطوطات النادرة.
٧. استخدم المسلمون نظام الحوافز والضوابط في التعليم، فكانت تستخدم الجوائز والمكافآت للطلبة المتفوقين، إضافة إلى استخدام العقوبات الأدبية كالعتاب والتوبيخ، والمادية كالضرب والسجن.
٨. منحت المرأة حقها بالتعليم أسوة بأخيها الرجل.
٩. بث فكرة العلم للعلم، وليس من أجل الكسب أو الاثراء المادي، حيث كان المعلمون الاوائل في صدر الاسلام يقومون بهذه المهمة من أجل الثواب من الله تعالى.
١٠. إن التربية العربية الاسلامية تربية عملية، يمارس فيها المتعلم ما تعلمه.
١١. قامت التربية العربية الاسلامية على الانفتاح، فقد احتضن الاسلام جميع العلوم التي ورثها من الحضارات القديمة و علمها لأبنائه في مؤسساته التربوية.
١٢. تأثرت التربية العربية الاسلامية بنظم التعليم الاجنبية، وعمل المسلمون على تطوير هذه النظم بما يتفق ومتطلبات المجتمع العربي الاسلامي وحاجاته الواقعية، ولم يأخذوا النظريات التربوية التي وجدوها، ولم ينقلوا مؤسساتها ونظمها، كما هي.

أعلام الفكر التربوي

سنتناول في هذا المبحث بعض أعلام الفكر التربوي الذين أغنوا التراث التربوي العالمي بما قدموه من آراء ونصائح تربوية كان لها الأثر الكبير في نمو وتطور العملية التربوية عبر التاريخ، حيث ما زال العديد من المربين المحدثين يستشهدون بها في كتاباتهم ومقالاتهم وبحوثهم ومعالجاتهم للمشكلات التي يتناولونها. وسيتم التركيز على أهم المبادئ والآراء التربوية التي جاء بها هؤلاء المربون، والاشارة بعض الشيء إلى سيرهم الشخصية.

1. ابن خلدون: (٧٣٢ هـ - ٨٠٨ هـ)

هو أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون التونسي، ولد بمدينة تونس عام (٧٣٢ هـ) ، وتلقى علومه فيها، حيث كانت تونس آنذاك مركزاً تستقطب العلماء والأدباء إليها من بقاع شتى. وقد تنقل ابن خلدون في أقطار كثيرة، عندما كان شاباً، وتقلب في أعلى مراتب الحكم والسلطان، واستقر به المقام أخيراً في القاهرة وجلس للتدريس في الجامع الأزهر. الذي وجد فيه مجالاً واسعاً وميداناً خصباً لنشر علومه ومعارفه، فالتف حوله طلبة العلم في حماس شديد. " كما درس الفقه المالكي فترة من الزمن ثم عين في وظيفة قاضي قضاة المالكية".

ويعتبر ابن خلدون من الكتاب العرب القلائل الذين كتبوا عن التربية والتعليم، وكان مذهبه في التربية مستمداً من فلسفته الواقعية. فقد اعتبر العلم والتعليم ظاهرة ضمن الظواهر الاجتماعية التي امتاز بها الجنس البشري عن غيره من الكائنات الحية – غير النباتية- بفكره الذي يهتدي به لتحصيل معاشه والتعاون عليه بأبناء جنسه والاجتماع المهيم لذلك التعاون وقبول ما جاء به الانبياء عن الله تعالى والعمل به". ولم يعتبرهما (أي العلم والتعليم) نشاطاً فكرياً تأملياً مجرداً بعيداً عن ونواحي النفع في الحياة. بل "جعل التعليم مهنة يمكن استغلالها للارتزاق" وهو بهذا خالف الفلاسفة اليونانيين أمثال (أفلاطون وأرسطو) الذين اعتبروا طلب العلم لمجرد السمو بالعقل والجسم والروح، كما خالف أئمة المسلمين – وعلى رأسهم الغزالي – عندما اعتبروا طلب العلم وتعليمه لمجرد التقرب من الله وسعادة الآخرة. إذ يرى ابن خلدون إن الكسب هو قيمة الأعمال البشرية، فطلب العلم وتعليمه –أذن- انما يمارسهما الانسان لغرض كسب الرزق، بالإضافة إلى كونهما نتائج حتمية لنشاط العقل البشري.

وابن خلدون من أعظم الكتاب العرب، إذ يعتبر – بحق – مؤسساً لعلم الاجتماع، ومن المؤرخين البارعين. حيث برز ذلك واضحاً في مؤلفه الوحيد المعروف بـ "ابن خلدون" واسمه الكامل (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر). وهو ثلاثة كتب في سبعة مجلدات.

آراؤه التربوية:

اعتبر ابن خلدون التعلم والتعليم أمراً طبيعياً في البشر، وأن التعليم احدى الصنائع التي تنشأ المجتمعات، وإن العناية به تدل على درجة كبيرة من الرقي والتطور. " فالعلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة". فكلما تقدم المجتمع في طريق الحضارة تقدمت معه العلوم وارتقت طرائق التعليم وأساليبه.

ومن أهم الآراء التربوية التي جاء بها ما يلي:

١. ألا تقدم المسائل الصعبة للمبتدئين بالتعلم وأن يكون تعليم العلوم متدرجاً من السهل إلى الصعب ومن البسيط إلى المعقد ومن المحسوس إلى المجرد وأن يستعان بالأمثلة الحسية أو الوسائل المعينة لا سيما في المراحل الاولى من التعليم.

٢. ينبغي أن يراعى في العملية التعليمية قوة عقل المتعلم واستعداده للتعلم وميوله الفطرية وأن ينتبه إلى ما بين المتعلمين من فروق فردية ومراعاة ذلك أثناء عملية التدريس.

٣. ألا تطول الفترات بين الدروس، لأن طول الفترة بين درس وآخر مدعاة لأن ينسى المتعلم ما درسه، لذلك ينبغي على المعلم " ألا يطول على المتعلم في الفن الواحد بتفريق المجالس، وتقطيع ما بينها لأنه ذريعة إلى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها عن بعض فيعسر حصول الملكة بتفريقها". وأن مواصلة الدروس تربط بينها وبين بعضها وتساعد على أن تتم عملية التعليم في وقت أقصر وبطريقة أصح، وبذلك يحدث اقتصاد في الوقت والجهد وتأتي بنتائج أفضل.

٤. أن يعطى تعليم اللغة العربية اهتمام كبير و عناية فائقة، وأن تكون دراستها أساساً لكل علم. وأن يبدأ بتدريسها أولاً، وقبل كل علم، وذلك بغية تمكين الطفل من إجادة التعبير عما يدور في ذهنه من أفكار وتصورات، وعلى اتقان عملية الكتابة وفهم ما يكتبه وما يقرأه.

٥. دعا ابن خلدون إلى التقليل من العقاب وتجنبالنوع القاسي منه، لأن الشدة على المتعلمين مضرة بهم وذلك إن ارهاف الحد بالتعليم مضر بالمتعلم سيما في أصغر الولد. فينبغي المعلم في متعلمه والوالد في ولده أن لا يستبدا عليهما في التأديب فقد قال (محمد بن زيد) في كتابه الذي ألفه في حكم المعلمين والمتعلمين: لاينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا اليه على ثلاثة أسواط شيئاً ومن الواجب على المعلم أن يأخذ الأطفال بالقرب والملاينة لا بالشدة والغلظة وألا يلجأ لى العقوبة إلا عند الضرورة القصوى، ذلك ن الشدة لا تبلغ الغاية من إيقاف المتعلم على العلم بل تفسد أخلاقه لأنها تعلمه الكذب وتدعوه إلى المكر والخبث والخديعة خوفاً من عواقب العنف.

٦. أكد ابن خلدون علة أهمية الرحلات في طلب العلم وفائدتها إذ اعتبرها مزيد كمال في التعليم، ذلك " إن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علماً وتعليماً، وتارة محاكاة وتلقيناً بالمباشرة" الا إن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد ثباتاً وأقوى رسوخاً. " فلا بد من الرحلة في طلب العلم لاكتساب الفوائد بقاء الشيوخ والعلماء"

٧. أن يبدأ المعلم في تدريسه بالجزئيات أولاً ثم ينتقل إلى الكليات ويسلك في ذلك الطريقة الاستقرائية فيعرض الامثلة والشواهد الكافية ثم ينتقل منها إلى التعاريف والقواعد لأنه (إذا القيت على المتعلم الغايات في البدايات وهو حينئذ لم يكن مستعداً وعاجزاً عن الفهم والوعي فإن ذلك يؤدي إلى العجز الذهني لديه. وحسب ذلك من صعوبة العلم نفسه فتكاسل وانحرف عن قبوله.

٨. اعتبر ابن خلدون القرآن الكريم أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل من ملكات وأول ما ينبغي تعليمه للولدان ولأهل الأمصار الاسلامية.

أعلام الفكر التربوي

٢. ابن سينا (٣٧٠ هـ - ٤٢٨ هـ)

هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا. اشتهر بكنى و ألقاب عديدة ومن أبرزها، الشيخ الرئيس وابن سينا.

ولد ابن سينا عام (٣٧٠ هـ) في قرية قريبة من بخاري، وهو عربي الثقافة اشتهر كفيلسوف وسياسي وطبيب، وقد ساهم بشكل واضح في إغناء الحضارة العالمية بما قدمه من علوم متنوعة شملت الطب والفلسفة والطبيعيات والرياضيات والموسيقى والأدب والالهيات وعلم النفس والتربية.

وامتاز ابن سينا بذاكرته القوية وقدرته الفائقة على التعلم، فقد حفظ القرآن الكريم وكثيراً من الأدب العربي وهو بعد لم يكمل العاشرة من عمره، كما حفظ كتاب " ما بعد الطبيعة " لارسطو عن ظهر قلب، دون أن يفهمه، " فلما اشترى كتاب أبي نصر الفارابي في أغراض ما بعد الطبيعة انفتح عليه ". ويعد ابن سينا أحد تلامذة كتب الفارابي، وخريج فلسفته ومؤلفاته.

وتعلم ابن سينا الفلسفة، وتفوق على استاذه، إذ كان يتصور مسائل المنطق بصورة أفضل منه. كما برز في الطب واشتهر ذكره وقام بمعالجة المرضى وهو آنذاك في السادسة عشرة من العمر، ومن الذين عالجهم وأشفاهم سلطان بخارى الذي أعجب به - بعد أن عجز غيره من الأطباء على شفائه - واذن له بدخول دار كتبه الغنية بالكتب القيمة في اللغة والشعر والفقه. وما إلى ذلك من العلوم الاخرى، فاطلع عليها واستفاد منها وأضاف لمعلوماته اموراً جديدة اخرى.

مؤلفاته:

لابن سينا مؤلفات كثيرة زادت على المائة، كان أولها كتاب " مبحث في القوى النفسانية " أو " هدية الرئيس للأمير " كتبه للامير نوح بن منصور. أما كتبه الفلسفية الرئيسة فهي ثلاثة : " الشفاء، النجاة ، والاشارات والتنبيهات ". وكتابه الرئيسي في الطب وهو " القانون " الذي يعتبر موسوعة طبية تضمن ما وصل اليه الطب عند العرب والاغريق والهنود والسريان وغيرهم، ويقع في (١٤) مجلداً.

آراؤه التربوية:

لقد سبقت الاشارة إلى أن ابن سينا اشتهر كسياسي، وكلمة (سياسة) تعني عند فلاسفة العرب " تلافي الخلل واصلاح الفاسد ". وقد كتب ابن سينا رسالة في السياسة تحدث فيها عن التفاوت بين الناس في الصفات والرتب، وكيف ينبغي أن تتم عملية تنشئة الأطفال وتربيتهم، وما يتصل بهذا الجانب من امور عديدة.

وسنكتفي بذكر بعض السياسات ذات الصلات التربوية التي أشار اليها ابن سينا وبين رأيه فيها بشكل موضوعي وصريح :

١. ان أول ما ينبغي أن يبدأ به الانسان هو معرفة نفسه، لأنها أقرب الأشياء اليه، وأكرمها عليه وأولاها بعنايته.
- و عليه أن يعلم أن له عقلاً هو السائس، ونفساً أماره بالسوء كثيرة المعائب، كما ينبغي عليه أن يتخذ صديقاً وفيّاً مخلصاً يكون له بمثابة المرأة، يريه أحواله وأفعاله على حقيقتها - حسنة كانت أم سيئة - ذلك ان الانسان كثيراً ما يغفر لنفسه الأعمال التي يقوم بها، ويبرر فعله لها بما يقنعه.
٢. ينبغي على الوالد أن يحسن تسمية ابنه، ولا يختار له اسماً غريباً غير مألوف ولا مرغوب في الوسط الاجتماعي، لما لذلك من أثر نفسي على سلوك الطفل وقد اعتبر ابن سينا هذا الأمر حقاً للولد على أبيه.
٣. أن تختار للطفل مرضعة تمتاز بالعقل والرزانة، وألا تكون بذات عاهة - لأن اللبن يعدي كما قيل - حتى ينشأ الطفل سليماً من الناحيتين الجسمية والنفسية.
٤. يوصي ابن سينا بأن تبدأ عملية تأديب الطفل ورياضة أخلاقه بعد الفطام مباشرة حتى لا يمكن للأخلاق السيئة والصفات الذميمة أن تهجم عليه.
٥. ينبغي لمؤدب الصبي أن يجنبه مقابح الأفعال ويبعده عن العادات السيئة بالترغيب والترهيب، فلا يؤخذ الولد أولاً بالعنف وإنما بالتلطف، ثم تمزج الرغبة والرغبة وتارة يستخدم الحمد والتشجيع، وتارة اخرى التوبيخ والتأنيب. و ألا يلجأ مؤدب الصبي (معلمه) إلى الضرب إلا عند الضرورة القصوى، وان اضطر لذلك فينبغي أن يكون أول الضرب قليلاً موجعاً، حتى يحدث في نفس الطفل الأثر اللازم ويجعله ينظر إلى عقابه بعين الجد.
٦. إذا بلغ الطفل ست سنوات من العمر وجب تقديمه للمؤدب والمعلم، وأن يراعى في عملية تعليمه استعداده للتعليم وقدرته على تقبل المعلومات، وألا يحمل على ملازمة الكتاب كرة واحدة، وأن يفسح له المجال للعب بعد الدرس، لما له من أهمية كبيرة في تصريف نشاطه وراحته النفسية.
٧. ينبغي أن يكون مع الصبي في مكتبه صبية من ذوي الأخلاق الحسنة والصفات الحميدة، ذلك أن الصبي يأخذ عن الصبي.
٨. أن ما ينبغي تعليمه للطفل أولاً هو قراءة القرآن الكريم، وذلك عن طريق التلقين، ثم تصور له حروف الهجاء، وبعدها يلقن معالم الدين، وأخيراً يحفظ الرجز ثم القصيد. فإذا انتهى الصبي من قراءة القرآن وحفظ اصول اللغة نظر إلى ما يراد أن تكون صناعته.

٩. أكد ابن سينا على ضرورة مراعاة ميول الطلبة وقابلياتهم، واعتبارها الأساس في تعليمهم وتوجيههم لاختيار الأعمال أو المهن التي يرغبون القيام بها، حيث قال : " ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مواتية، ولكن ما شاكل طبعه وناسبه ".
وهذا يستوجب على المعلم أن يختبر ذكاء الصبي، ويزن طبعه ومن ثم يختار له الصناعات المناسبة له والتي يستطيع النجاح فيها.

١٠. ويوصي ابن سينا بتزويج الصبي بعد أن يكسب صناعته لئلا تتلاعب به الشهوات.
١١. أما بالنسبة للمعلم فقد اشترط ابن سينا جملة من الصفات التي ينبغي توافرها فيه، حيث أكد على أن يكون المعلم (مؤدب الصبي) عاقلاً متديناً له دراية ومعرفة برياضة الأخلاق، وقوراً، رزيناً، مرناً، غير جاف بعيداً عن الخفة والسخف، ذا نظافة ونزاهة. وذلك أن للمعلم أهمية كبيرة في توجيه طلبته وارشادهم، فينبغي أن يكون مثلاً يحتذى به، ومناراً يهتدى به، لأن سلوكيته تنعكس على تلامذته - سلباً أو ايجاباً - ذلك انهم يقلدون الكثير من أفعاله و أعماله، ولهذا فلا بد أن يلم - من أراد هذه المهنة - بالصفات الحميدة والخلق الكريم لكي يكون عائدة على غيره خيراً، وناجحاً في أداء رسالته.

٣. الامام الغزالي (٤٥٠ هـ - ٥٠٥ هـ)

هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ولد في مدينة طوس عام (٤٥٠ هـ) وتوفي عام (٥٠٥ هـ).

كان أبوه رجلاً فقيراً تقياً يجالس الفقهاء والعلماء، رغب في أن ينشأ ولده فقيهاً عالماً. وقد قيل إن أباه كان يغزل الصوف ويبيعه، ومن هنا جاءت التسمية " الغزالي " نسبة إلى مهنة أبيه.

كان الغزالي - منذ حداثة - شغوفاً بالعلم والمعرفة. فقد درس الفقه وهو ما يزال صبياً، وقرأ الفلسفة والحكمة، واشتهر بذكائه المفرط وادراكه العميق لدقائق الامور. كما درس الفلسفة اليونانية والمذاهب الدينية المختلفة. قدم إلى بغداد " وعهد إليه نظام الملك بالتدريس في المدرسة النظامية التي أسسها في بغداد عام (٤٨٤ هـ)، بعد أن اعجب بحكمته وجزارة علمه وطلاقة بيانه وقوة حجته ". واستمر بالتدريس فيها أربع سنوات، حيث قصدته طلبة كثيرون والتفوا حوله لينهلوا من حكمته وعلمه الغزير. ولم يكن اهتمامه منصباً على التدريس فقط، بل كتب وألف في مجالات مختلفة من العلوم، كما اهتم بالوعظ والرد على الفلاسفة، وما جاءوا به من فلسفات.

مؤلفاته:

للغزالي مؤلفات كثيرة زادت على السبعين، كان معظمها في الفقه والجدل والمناظرة والرد على الفلاسفة والدفاع عن الدين. ومن أهم مؤلفاته التي دون فيها أهم آرائه التربوية ما يلي: " رسالة أبيها الولد، احياء علوم الدين، ميزان العمل، فاتحة العلوم، والرسالة اللدنية " .

آراؤه التربوية :

وضع الامام الغزالي نظاماً تربوياً شاملاً متكاملأً ومحدد المعالم، أو ضح فيه هدفه بالتربوية، منطلقاً في ذلك من نظرتة للحياة المتمثلة في فلسفته الصوفية. فالتعليم عنده صناعة من أشرف الصناعات تهدف إلى الكمال الانساني، والغرض منه الفضيلة والتقرب إلى الله وسعادة الدنيا والاخرة. وبذلك فهو يؤكد دائماً على ضرورة طلب العلم لذاته، لما له من قيمة، ولما يجد فيه الانسان من لذة ومتعة. واعتبر تحصيله هدفاً تربوياً بحد ذاته. وقد رفع الغزالي من مكانة المعلم واعتبره المرشد والمهذب والموجه نحو الطريق القويم. وان منزله ترقى على منزلة الوالدين ذلك " أن حق المعلم أعظم من حق الوالدين، فإن الوالد سبب وجود الحاضر والحياة الفانية، وإن المعلم سبب الحياة الباقية".

وسعى الغزالي إلى تربية الأفراد تربية صحيحة، لأن بهم تصلح المجتمعات. وكان يرى التربية كأداة ووسيلة مهمة وناجحة في تقويم الانسان واصلاح ما به من اعوجاج واكمال ما به من نواقص.

و أكد على أهمية الربط بين العلم والعمل به فقد قال : " لو قرأ رجل ألف مسألة علمية وتعلمها ولم يعمل بها لا تقيدته إلا بالعمل ". وقال : " العلم بلا عمل جنون، والعمل بغير علم لا يكون ". واخيراً يبين الهدف النهائي من تعلم العلم، فيعتبر خلاصته تعلم الطاعة والعبادة.

إن في منهج الغزالي التربوي نزعتين، تتمثل الاولى في نظرتة الصوفية الدينية التي بموجبها وضع علوم الدين بالمرتبة الاولى باعتبارها أداة تنقية النفس وتطهيرها من المعاصي والآثام. والنزعية الثانية هي الواقعية النفعية الدنيوية إذ نراه يؤكد تقديره للعلوم حسب نفعها للانسان، وكونها وسيلة لكسب العيش والحصول على الأجر لقاء العمل الذي يقوم به الانسان.

وفيما يلي أهم المبادئ والآراء التربوية التي جاء بها الغزالي :

1. يربط الغزالي بين العلم والاخلاق، ويرى أن لا قيمة للعلم إذا لم يكن صاحبه متميزاً بالاخلاق الحسنة والصفات الحميدة، ويؤكد على إن " طهارة النفس وحسن الأخلاق أساس للنبوغ في العلم، وربما حصل رديء الأخلاق على العلم، غير انه لم ينتفع ولن ينفع به، ولذلك كأنه لم يحصله ".
2. يتفق الغزالي مع ابن خلدون في تأكيده على ضرورة قيام الطلبة بالرحلات والابتعاد عن الأهل والوطن في سبيل تحصيل العلوم وطلب العلم.
3. على الطالب ألا يتكبر على معلمه، بل يجب عليه أن يحترمه " ويزعن لنصيحته اذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق".

٤. أكد الغزالي على أهمية اللعب للصغار، ونصح بأن يلعب الصبي لعباً جميلاً بعد انصرافه من الكتاب " ليستريح اليه من تعب المكتب، ومنع الصبي من اللعب وارهاقه بالتعليم دائماً يميم قلبه ويبطل ذكاهه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً ". ويرى أن اللعب وسيلة لبعث النشاط في أجسام الأطفال، وعقولهم. ويجعل حياتهم مليئة بالبهجة والسرور، لا سيما إذا كان " سائراً على محور النظام والترتيب ومناسباً لعمر الطفل وقواه العقلية " .
٥. نصح الغزالي بضرورة مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، فقد نبه إلى أن هناك فروقاً بين الأفراد من حيث قدراتهم واستعداداتهم ورغباتهم وميولهم، وأكد على أن تسير عملية التعليم بصورة تتلائم والمستوى العقلي للمتعلم، "وَألا يؤخذ الغلمان جميعاً بطريقة واحدة، وألا يعاملوا معاملة واحدة، في العلاج والتهديب، وإنما يجب أن يختلف علاجهم باختلاف أمزجتهم وطبائعهم وأسنانهم وبينتهم".
٦. ينبغي أن يجازى الصبي بما يفرح به إذا ظهر منه فعل محمود وخلق جميل، وألا يوبخ إلا أحياناً. فقد نصح الغزالي بعدم التماذي في عقاب الطفل، وتجنب استخدام القسوة في تهذيب سلوكه.
٧. أكد الغزالي على تعليم الطفل قراءة القرآن الكريم وأحاديث الأخيار وحكايات الأبرار واحوالهم حتى يبعد عن العبث والمجون. وألا تعطى له الأشعار التي ذكر فيها العشق وأهله. ذلك أن تعليم الصبي لبعض المواد الدينية وقيامه بالعبادات يؤديان إلى تهذيب أخلاقه وتقويم سلوكه - ان كان معوجاً - وتثبيت العادات السلوكية المرغوبة لديه.
٨. لم يجعل الغزالي عكسية التربية مقتصرة على التعليم فقط، بل شملها بأنواع مختلفة لا تقل أهمية عن التعليم، فقد أوجب على الوالي مراقبة الصبي من أول مرة. " وألا يستعمل في حضانتها وارضاعه إلا امرأة سالحة متدينة تأكل الحلال ". وهنا يتفق الغزالي مع ابن سينا في أهمية أمر المرضعة التي ينبغي أن تتصف بالصفات الحميدة، إذ إن لكل ذلك آثاراً - سلبية أو ايجابية - تبدو في سلوك الطفل في المستقبل.
٩. أكد الغزالي على مبدأ التدرج في التعليم، ونصح المتعلم بأن يتدرج في دراسة العلوم، وألا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله، فإن العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً، بعضها طريق إلى بعض.
١٠. نصح الغزالي بعدم تعويد الطفل على الكسل والتراخي، أو التساهل في التعامل معه، وأن يبعد عن قرناء السوء، وعن التدلل والتنعم، وأن يبكر في تعويده الخصال الحميدة، لأن نفسه خلوة من أي نقش، وأنه يتقبل الخير والشر على حد سواء. فالطفل - كما يقول الحديث الشريف- يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه.

اعتبر الغزالي مهنة التعليم أشرف مهنة وأجل وظيفة، ولم يقصر عمل المعلم على ممارسة عملية التعليم بفردها، بل أناط به مهام العملية التربوية بكاملها، وبذلك فهو يرى في المعلم ما يلي:

١. أن يكون شفوفاً رحوماً بالمتعلمين، يعاملهم معاملة أبنائه دون تفریق أو تمييز، لما لذلك من أثر في كسب ثقة المتعلمين بأنفسهم، والشعور بالأطمئنان إلى معلمهم، فيسهل عليهم تحصيل العلم.
٢. أن يقوم بتعليم العلم لوجه الله تعالى، فلا يطلب عليه أجراً، ولا يقصد جزاءً أو شكراً، باعتباره فرض عليه ينبغي تأديته.
٣. أن يكون موجهاً ومرشداً أميناً لتلميذه، وألاً يستخدم القسوة في تهذيب سلوكه، " وأن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن، وبطريق الرحمة، لا بطريق التوبيخ".
٤. أن يراعي مدى قدرة المتعلم العقلية على استيعاب المعلومات، وألاً يلقي إليه مالا طاقة له به، فيجعله يكره العلم والتعلم، وألاً يربك فكره بتعليمه النظريات المتعارضة والآراء المتناقضة.
٥. نصح الغزالي المعلم بالأيناى بمبدأ ويأتي أفعالاً تناقض هذا المبدأ والا يرتضى المعلم لنفسه من الأعمال ما ينهي عنها تلاميذه. أي ينبغي على المعلم أن يلتزم بما يقوله، وألاً يخالف قوله فعله، حتى لا يفقد ثقة المتعلمين به.
٦. من الضروريات الأساسية لمهنة التعليم، أن يقوم المعلم بدراسة نفسية المتعلمين وخصالهم وطباعهم. بغية أن تكون عملية التعليم أكثر نفعاً وفائدة للمتعلمين، وتحقيق الأهداف المتوخاة بسهولة ويسر.
٧. وانطلاقاً من فلسفة الغزالي الصوفية، نجده يؤكد على المعلم بأن ينبه تلميذه على أن الغرض من طلب العلوم هو التقرب من الله دون الرياسة والمباهاة والمنافسة.

4. برهان الدين الزرنوجي:

يذكر بعض الباحثين انه توفي عام ٥٩١ هـ أو ١٢٠٠ م وهو صاحب الكتاب الهام في الفكر العربي الاسلامي (تعليم المتعلم طريق التعلم) ذلك الكتاب الذي يقول عنه أحد الباحثين " أتى كتاب "تعليم المتعلم" نتيجة كرد فعل الثقافة الاسلامية على التهديد الداخلي والخارجي، ذلك لأنه تعبير عن الاهتمام بكيف يكون تثبيت الاصول وضمان استمرارها وتعمقها وفهمها، وفق ما تمليه هذه الاصول وما يشتق منها من قواعد وشرائط للتعليم والتعلم، من هنا كان القرآن الكريم والسنة المطهرة هما الاصل عند الزرنوجي، وكانا هما الموجهين، كانا الغاية المبتغاة، والوسيلة المتبعة اليها، والكتاب في أخص خصائصه تعبير عن المنهج العام الذي انتجته الثقافة الاسلامية في ذلك العصر نحو القرآن والسنة"

والكتاب يضم ثلاثة عشر فصلاً تمحورت جميعاً حول العلم والتعليم والتعلم واساليب التعليم. وقد حصل هذا الكتاب على شهرة واسعة بين مفكري المسلمين وطلاب العلم

وترجم الى اللاتينية والتركية والانكليزية، ووضعت له شروح بعد أكثر من ثلاثة قرون للحاجة العملية لفهمه، كما طبع مرات عديدة كما تحقيقه. وقد قال الزرنوجي في فاتحة كتابه هذا « فلما رأيت كثيراً من طلاب العلم في زماننا يجدون الى العلم ولا يصلون اليه، ومن منافعه وثمراته يحرمون، لما انهم اخطأوا طرائقه وتركوا شرائطه، اردت واحببت ان ابين لهم طريق التعلم » وبالطبع فهذا هو هدف الكتاب.

ويمكن تلخيص أهم آرائه التربوية بما يأتي :

١. اهتم بنظرة متكاملة الى المتعلم في جوانب شخصيته الانفعالية والعقلية والاجتماعية والصحية مع ادراكه وتنبيهه الى التفاعل بين هذه الجوانب وتأثير بعضها ببعض •
٢. أن تكون نية المتعلم رضا الله وازالة الجهل عن النفس بالجد والمواظبة والاهتمام والتوكل على الله •
٣. ان يعظم العلم والمعلم وطالبو العلم من شركائه في الدرس متسلحين بالورع والتواضع واجتناب الاخلاق الذميمة •
٤. ان يكون دافع المتعلم ذاتياً. وهو يعتبر اللذة المكتسبة عن العلم والتأمل من فضائل العلم باعثاً على اكتساب المزيد منه •
٥. دعا الى أن يجري التعلم بجد ونشاط وهمة وان ينوع في العلوم المكتسبة.
٦. رأى ان يكون المتعلم حراً في اختيار ما يرغب فيه وما يقدر انه أقدر على تعلمه، وعليه أن يختار من كل علم احسنه كما عليه ان يختار العلم الأعلم والأورع والأسن وان يختار من زملائه في التعلم المجد الورع ويبتعد عن الكسلان المفسد .
٧. طرح الزرنوجي رؤيته للانشطة التي ينبغي أن يمارسها المتعلم كالمطاربة والمناظرة والمذاكرة والمشاورة والتأمل في دقائق العلوم والتسجيل والضبط والاعادة والتعليق. وأن يتم ذلك كله بجد و نشاط وممارسة ودون انقطاع •
٨. أكد على ضرورة التدرج في التعليم جزءاً بعد آخر ودون ارهاق وبفهم.
٩. أكد الزرنوجي على ضرورة الاهتمام بالتربية الجسمية من خلال تعلم المتعلم شيئاً من الطب والابتعاد عن بعض الاغذية التي تورث الكسل وهو يوجه المتعلم للحفاظ على صحة بدنه بالاقبال من الطعام والاهتمام بالنظافة الشخصية وأن لا يجهد نفسه.

الفصل الرابع

التربية في أوربا الحديثة

جان جاك روسو (١٧١٢ م – ١٧٧٨ م) :

ولد جان جاك روسو عام ١٧١٢ م في مدينة جنيف السويسرية في عائلة فرنسية بروتستانتية. وقد توفيت والدته في اليوم الثامن من ولادته، وكان لهذه الحادثة أثرها النفسي الكبير في حياة روسو بعد أن كبر وعلم بها، حيث قال : " لقد ولدت ضعيفاً مريضاً وفقدت امي حياتها بولادتي، فبولادتي بدأ سوء حظي".

أما والده فكان صانع ساعات، وأحياناً معلماً للرقص. امتاز بكثرة خياله وسرعة تأثره وحبه لنفسه. وقد قام بتربية ابنه وتعليمه القراءة والكتابة عندما بلغ السادسة من عمره، فكان يقرأ له - في كل ليلة - بعض القصص والروايات الرومانتيكية، وبعد اتمامه لها، تحول إلى قراءة كتب التاريخ والتراجم، فنمت لدى الابن العاطفة والخيال وحب الحرية، كما نمت لديه عادة القراءة التي كان لها الأثر الكبير في تكوين شخصيته الفكرية فيما بعد.

لقد قرأ (روسو) كتباً كثيرة عن الوطنية والحرية والديمقراطية حتى امتلأ قلبه بحب الحرية والدفاع عن الانسانية وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره، كما درس الآداب والفلسفة والدين والسياسة والاجتماع والأخلاق والاقتصاد والتربية، فكان لذلك كله أثر كبير في كتاباته التي اعتبرت ثورة على ما كان سائداً في عصره من ظلم واستغلال وتقييد للحرية.

كما إن تعرفه على العديد من العلماء والشعراء أمثال " فولتير " و " مونتسكيو " و " ديدرو " أضاف لمعلوماته ثروة من الفكر استطاع من خلالها أن يبرز كأحد مشاهير القرن الثامن عشر في الفلسفة وعلم الاجتماع والتربية. وبذلك فقد ارتبط باسمه الفكر التربوي الحديث الذي نشأ في القرن الثامن عشر فهو الذي وضع اسسه ونبه إلى ضرورة تغيير الأساليب والأسس التربوية المستخدمة آنذاك لأنها خاطئة.

يعتبر روسو مؤسس الفلسفة الطبيعية، وهو من أئمة مفكري عصره، وفلسفته التربوية (الطبيعية) كانت استمراراً وتطوراً لجوانب محددة لمفهوم الواقعية. وهي كما يصفها: "تربية وفقاً للطبيعة". وهذه الفلسفة من أكثر الحركات التربوية تأثيراً في القرن الثامن عشر. فقد ثار (روسو) على طريقة التعليم المستخدمة في عصره. ذلك إن التعليم وفقاً للفلسفة التي نادى بها - يعني اكتشاف وصياغة وتطبيق قوانين الطبيعة في العملية التربوية إضافة إلى محاكاة بسيطة للطبيعة، وهذا يتطلب من المربين ملاحظة للطبيعة والتعلم منها ودراسة طرائقها.

ولكي يتم تعليم الفرد بصورة أفضل لا بد من أن يكون هناك فهم كامل لطبيعة نموه، ذلك إن هدف التربية وطريقتها ينبغي أن يحددا في ضوء دراسة طبيعة التلميذ.

أما الغرض من التربية عند (روسو) فهو " تكوين انسان متكامل " يكون على اتصال مباشر ووثيق بمشكلات الحياة ويعمل للتغلب عليها. أما وظيفتها فهي إزالة كل ما يعترض النهوض بالطبيعة الانسانية. وهذا يعني إن نوع التربية التي يريدها (روسو) هي " التربية السلبية " التي تمنع الأشياء التي تقف حائلاً دون نموه، والأمور التي تؤثر فيه تأثيراً سيئاً والبيئة التي تفسده من النواحي العقلية والجسمية والاجتماعية والخلقية.

والهدف النهائي من التربية – كما يراه روسو – هو تحقيق نظام اجتماعي تسوده المبادئ والفضائل المتمثلة في البساطة والحرية والإخاء والمساواة، ويدركها أعضاء المجتمع كافة. وفي ذلك يقول " كل شيء جيد إذا ما جاء عن طريق الخالق، وكل شيء يفسد إذا ما مسته يد البشر ". ذلك إن طبيعة الانسان خيرة في ذاتها ولكن المجتمع هو من يفسدها لأنه فاسد بطبيعته. والكلمات التالية تعتبر الأساس في أهداف (روسو) التربوية، إذ يقول: " إن الرب خلق كل شيء خلوا من كل عيب، ولكن الانسان وحده هو الذي لطمه".

لقد رغب روسو في تربية تحرر الانسان من قيود المجتمع المصطنعة، وقيود السلطة البشرية وبذلك فقد أكدت الفلسفة الطبيعية على حقوق الفرد وضرورة التمتع بها، ورفضت بشكل مطلق السلطة المطلقة للدولة وسلطة الكنيسة. وعلى هذا الأساس فالتربية – من وجهة نظره – هي عملية النمو الطبيعي للفرد. وألا تكون وفقاً على جماعة أو طبقة بل لعموم الشعب وقد أوضح (روسو) "بما أن الأطفال متساوون امام قانون الدولة، فإنهم يجب أن يتعلموا سوية وبنفس الطريقة".

لقد نظر (روسو) إلى الطبيعة الانسانية نظرة مبتسرة، وكان لقسوة المجتمع عليه ولظروفه البيئية أثر كبير في آرائه الفلسفية والتربوية. واعتقد (روسو) بأن لدى الطفل قدرات فطرية عند ولا دته، وعلى الانسان احترام النمو الطبيعي لهذه القدرات، وأن المجتمع بما يفرضه من ظلم وجور يسبب الانحراف الطبيعي لهذه القدرات.

وتعد نظرة (روسو) هذه تجاه الطفل ثورة على ما كان سائداً في عصره، فقد كان ينظر إلى الطفل على إنه رجل صغير، وإن لعقل الطفل صفات مماثلة لعقل الكبير، وكانت طريقة التعليم المستخدمة واحدة للثنين. وبذلك فقد أهملت الطفولة اهمالاً تاماً. وكانت نظرة روسو بمثابة احتجاج على هذا الوضع، فالطفولة عند روسو تعني مرحلة متميزة لها خصائصها وقوانينها ونظمها المتعلقة بالنمو، والتي ينبغي أن تخضع لها الطريقة التدريسية التي يستخدمها المعلم.

كتب روسو ورسائله:

لقد كتب روسو رسائل ومؤلفات عديدة تناولت ميادين شتى من الحياة، ومن أهمها ما يلي:

١. **رسالة في العلوم والفنون:** برهن فيها على إن للعلوم والفنون أثراً كبيراً في شقاء الانسان وافساد أخلاقه، ونادى بالرجوع إلى الطبيعة. وقد نالت إعجاب الجماهير، وإن نجاحه، وذيوع صيته من خلال هذه الرسالة يعد نقطة تحول كبرى في حياته الفكرية، كما فتح أمامه آفاقاً جديدة للمجد والشهرة.

٢. **رسالة في التفاوت أو عدم المساواة:** وفيها حكم بأن المجتمع الانساني فاسد لعدم وجود المساواة بين أفرادهِ. ويقول: " إن مما يصادق قانون الطبيعة أن يأمر طفل شيخاً، وأن يقود معتوه حكيماً، وأن يتختم قليل من الناس. في حين إن الكثيرين لا يجدون الضروريات".

٣. **رسالة في الاقتصاد السياسي:** أشار فيها إلى أن القانون ينبغي أن يكون معبراً عن إرادة الشعب، وأن تقوم الدولة بتعليم الأطفال جميعاً، ودعا الدولة إلى فرض الضرائب على الأغنياء لا الفقراء، وعلى الكماليات لا الضروريات.

٤. **العقد الاجتماعي والذي يسمى بـ " انجيل الحرية":** وفيه دافع عن الفقراء، ونادى بالرجوع إلى الطبيعة من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية. وقد بدأ كتابه عن هذا بالجملة الثورية التالية: " خلق الانسان حراً وهو مستعبد في كل مكان".

٥. **الإعترافات:** وفيه بين الطبيعة الحقبة للانسان، كما ذكر فيه حياته وطفولته التعيسة، وما ارتكبه من خطايا في حياته.

٦. **أميل والذي يسمى بـ "انجيل التربية:** وفيه دون آراؤه التربوية وكيف ينبغي أن يربي الطفل منذ ولادته وحتى يبلغ العشرين عاماً. وقد تألف هذا الكتاب من خمسة أجزاء، تضمنت اجزائه الأربعة نوع التربية التي أرادها لاميل، في حين خصص الجزء الخامس منه لتربية المرأة التي ستكون زوجاً لاميل.

أجزاء كتاب اميل:

1. الجزء الأول – من الولادة حتى الخامسة من العمر:

في هذه المرحلة يجب أن يؤخذ الطفل بعد ولادته إلى الريف ليعيش بين أحضان الطبيعة، ولا يتدخل في تربيته أحد، بل يترك حراً طليقاً، وأن تكون ملابسه فضفاضة، وغير مقيدة لحركاته، وأن تعطى له الحرية في ألعابه. والتربية التي يحتاجها الطفل في هذه المرحلة هي التربية الجسمية. وعلى الأم أن تقوم بتلبية ما يحتاج اليه الابن بفطرته من الملابس والغذاء لأنها مصدر حبه، "والأب هو المربي الأول ثم يأتي المعلم الذي ينبغي عليه أن يعلمه واجبات الرجال".

2. الجزء الثاني من ٥ - ١٢ سنة:

وفي هذه المرحلة لا يزال الطفل في الريف يعلم نفسه بنفسه من الطبيعة، فإن أخطأ يتحمل تبعه خطأه. وينبغي أن يسمح له باللعب لكي يرضي رغباته وميوله، وأن يعود الخشونة والتربية في هذه المرحلة بدنية اخلاقية. لذلك ينبغي أن يكون الاهتمام منصباً على تعويد الطفل العادات الخلقية السليمة، وأن تقلل الأوامر قدر المستطاع، وأن يعني المربي بتربية حواس الطفل من

خلال استخدامها، ولا داعي للقراءة والكتابة، إذ ليس من المفيد للطفل إجباره على تعلم أشياء لا طاقة له على فهمها. كما ينبغي عدم تلقينه العلوم والمعارف والأخلاق. وأن يعامل بالعطف والرحمة والشفقة.

3. الجزء الثالث من ١٢-١٥ سنة:

تعتبر هذه المرحلة، مرحلة العمل والتفكير والدراسة، فقد نما جسم أميل وعقله، وهو يستطيع الآن أن يفكر ويتأمل كما ينبغي. ونصح روسو بعدم اللجوء إلى الكتب في عملية تعليم الطفل، بل " أن تكون الطبيعة كتاب التعلم وحقائق العالم هي موضوعات هذا الكتاب". كما ينصح بتعليم أميل الجغرافية والفلك والجبر والطبيعة، على أن يكون تعلمها بطريقة عملية. وينبغي أن تراعى حاجة الطفل في اختيار مواد الدراسة، لأن الحاجة هي التي تقود الطفل إلى اختيار المواد التي يدرسها.

4. الجزء الرابع من ١٥ – ٢٠ سنة:

ويكون الاهتمام في هذه المرحلة بالتربية الدينية والخلقية ليعرف أميل علاقته بالله وبالناس، وألا تكون وسيلة ذلك الأوامر والنواهي، ولذلك نرى روسو يؤكد على الإقلال من النصائح والارشادات والأوامر " فالتربية الخلقية – من وجهة نظره – تكتسب بالمشاهدة والممارسة العملية ودراسة سير الأبطال، وليس بالتعليم والتلقين في دروس توضع، وكتب تؤلف في الأخلاق ". أما بالنسبة للتربية الدينية، فينصح روسو بعدم تلقين العقائد الدينية في الطفولة، وألا تبدأ دراسة الدين إلا بين ١٥ – ٢٠ سنة وذلك من ملاحظة الطبيعة. وفي هذه المرحلة يمكن أن يتذوق الإنسان القراءة والفن.

5. الجزء الخامس – تربية المرأة:

خصص روسو هذا الجزء من كتاب " أميل " لتربية المرأة التي ستكون زوجاً لاميل. وكان مفهومه عن المنهج التربوي للنساء رجعياً، إذ إن امرأته النموذج (صوفيا) لم تكن لها شخصية وإن واجبها هو إسعاد الرجل، وإن حياتها كلها مكملة لحياة الرجل. لذا ينبغي أن تتعلم الغناء والرقص والتطريز والتصميم لإسعاد الرجل، ولكي تكون قادرة على المساهمة في راحته يجب أن تحصل على تربية في الأخلاق والدين، وبذلك تتمكن من إدارة بيت جيد، ولكن ينبغي ألا تدرب على التفكير من أجل نفسها مطلقاً.

إن الغرض من تربية المرأة في نظر (روسو) هو " أن تسر الرجال وتتفهم وتجعل نفسها محبوبة محترمة بينهم، وأن تربيهم وهم صغار، وتعنى بشؤونهم وهم كبار وتسليهم، وتجعل الحياة عذبة جميلة في نفوسهم". كما ينبغي أن تمرن المرأة جسماً لكي تكون سليمة البنية، رشيقة، قوية.

ومن الغريب أن ينادي (روسو) بتجنب المرأة المثقفة، فهي في نظره كالتابعون لزوجها ولاطفالها بل ولجميع المخلوقات. بيد أنه لم ينكر على المرأة تلك الثقافة التي تساعدها على إسعاد زوجها. فالعلم الذي ينبغي أن تدرسه كل امرأة هو " عقل الرجل "، والكتاب الذي يجب أن تقرأه كل امرأة هو " عالم الرجال "، فالمرأة في نظره غير صالحة لدراسة الفلسفة والعلوم العقلية.

آراؤه التربوية:

إن آراء روسو التربوية مستمدة من فلسفته الطبيعية. وفيما يلي أهم هذه الآراء:

١. يؤكد روسو على أهمية الأم في تربية أطفالها، فيقول: " إذا لم تكن ثمة أم لم يكن ثمة طفل وإذا أردتم أن تعيدوا كل إنسان لواجباته الأولى عليكم البدء بالأمهات وستعجبون لما تحدثونه من تغيرات". ولذا ينبغي على الأمهات القيام برعاية أطفالهن بأنفسهن وألا يسلمونهم لمرضعات مرتزقات، لأن شعور الأم نحو طفلها غير شعور المربية الأجنبية نحو الطفل الذي تشرف عليه لقاء أجر. وبذلك يقول روسو: " إذا انعدمت الأم انعدمت التربية".
٢. أن تكون التربية الأولى سلبية محضة، فهي لا تتضمن بث الفضيلة، بل صيانة من الرذيلة وحفظ العقل في الخطأ. ودعا روسو إلى عدم التسرع في إيجاد الخير والفضيلة من أجل منع تولد الشر والرذيلة. وفي هذا يقول: " أمتع حدوث الرذيلة، وبهذا تكون قد فعلت ما يكفي للقيام بالفضيلة".
٣. لكي يربي الأطفال تربية سليمة وصحيحة، ينبغي على المربين دراسة الأطفال ودراسة عالمهم وغرائزهم وميولهم من خلال ملاحظة ما يقومون به من ألعاب وممارسات يومية. لأن الجهل بالأطفال وبمرحلة الطفولة يؤدي إلى تربيتهم تربية خاطئة.
٤. ألا يكثر المعلم من استعمال الطريقة الاخبارية في تعليم الأطفال، بل ينبغي أن يكون الطفل معلم نفسه، وبذلك يقول روسو: " أن أميل مضطر لأن يتعلم بنفسه، وأن يستعمل فكره لا أفكار غيره". ويرى روسو إن الاعتماد على النفس في عملية التعلم يؤدي إلى الإبداع والابتكار.
٥. ألا يعلم الطفل أية لغة حتى الثانية عشرة، وذلك لعجزه عن الفهم والحكم وعدم تمكنه من المقارنة بين لغته الأم واللغات الأخرى. كما يوصي روسو بعدم تقديم الخطب التي يصعب على الطفل فهمها، والابتعاد عن الوصف والبلاغة والمجاز. ويؤكد على التحدث مع الطفل بلغة يفهمها ويدرك معانيها.
٦. أن تدرس الأشياء الملموسة قبل المجردة، وأن تكون المادة المعطاة للطفل محسوسة مشوقة له، مفيدة له في حياته العملية، تتلائم ومستوى قدرته وقواه، وغير بعيدة عن عالمه الخاص.
٧. أكد على حرية الطفل، ونادى بتحريره من الكبت والارهاق، ومن القيود التي وضعها المجتمع. وأن يسمح له باللعب لكي تنمي قواه ويتمتع بالحرية.
٨. ينبغي أخذ الأبناء بالأعمال الزراعية والصناعية، لأن الأعمال اليدوية تفيد العقل، وبهذا فقد نصح روسو بالتعليم عن طريق الحواس وبخاصة العين واليد. وهنا يؤكد على التربية بطريقة عملية.
٩. أنكر روسو استخدام العقوبة البدنية مع الأطفال، وفي ذلك يقول: " إننا كثيراً ما نعاقب الأطفال عقاباً مؤلماً قبل أن يتمكنوا من ادراك طبيعة أخطائهم". ونادى بالعقوبة الطبيعية، وترك الطفل للطبيعة لتعاقبه عن الهفوة التي ارتكبها والخطأ الذي أخطأه.
١٠. أن يترك الطفل للطبيعة، يتعلم منها، ويدرس ما فيها من نبات وحيوان وجماد، حتى يقدر عظمة الخالق وقدرته. وألا يعتمد الطفل على الكتب وحدها في التعلم.

١١. حذر (روسو) من كثرة الارشاد والافراط في الاوامر والنواهي، لأن الاكثار منها يميته شعور الطفل وقوة التفكير لديه.

بستالوتزي (١٧٤٦ - ١٨٢٧ م):

ولد يوحنا هنري بستالوتزي في مدينة زيورخ السويسرية عام ١٧٤٦ م. وقد حظى برعاية وتربية جيدتين، لم ينلهما الفيلسوف والمربي الفرنسي روسو، إذ نشأ على العاطفة وحب الأسرة فتكون قلبه قبل أن يتكون عقله.

توفى والد بستالوتزي وهو في الخامسة من عمره، فتعهدت والدته بتربيته، فقامت بإرساله إلى المدرسة الابتدائية، ومن ثم دخل المدرسة الإعدادية وأكمل دراسته فيها، فالتحق بجامعة زيورخ فدرس اللاهوت، ثم عدل عن ذلك وطفق يدرس القانون لكي يدافع عن الفقراء السويسريين وذلك بعد قراءته لكتب روسو وبخاصة كتابي "أميل" و "العقد الاجتماعي"، وقد وضعته أفكاره الثورية هذه في صراع مع الحكومة. وقام بستالوتزي بإنشاء مشروع زراعي هدف منه تحسين ظروف الفلاحين السويسريين عن طريق التربية، بيد إن مشروعه هذا باء بالفشل واستنفذ كل ما يملك، إلا إن هذا الأمر لم يوقفه عن قيامه بمهامه التربوية، فبدأ بافتتاح ملجأ للأطفال الفقراء الذي يمكن اعتباره الخطوة الأولى في بداية عمله التربوي، تلى ذلك افتتاحه لملاجئ أخرى في مدن سويسرية متعددة أمثال (ستانز) والمدارس الابتدائية في (بورغدورف) ومعهد (ايفردون).

ويعتبر بستالوتزي أول من وجه أنظار المهتمين والمعنيين بالأمور التربوية إلى أن مشكلة التربية ينبغي دراستها من جانب علاقتها بنمو عقلية الطفل، وإن الفكرة الأساسية التي اعتمدها في طريقته التربوية تتمثل في "الاعتماد على التجارب والنواحي العملية التي تعمل على تطوير العقل فتتحسن قدراته". وأكد على أن يكون الطفل محور العملية التربوية لكي ينمو نمواً سليماً في جميع الجوانب. كما أشار إلى أن "الحب والعمل والعلاقات الاجتماعية هي الوسائل الطبيعية لتطوير وتنمية قدراتنا".

إن أفكار بستالوتزي التربوية تركز حول مبدئين أساسيين هما:

١. ينبغي أن تكون التربية في معناها وأهدافها ومناهجها متمشية مع نمو الطفل وقدرته على استيعاب المعلومات وبذلك فإنه يميز أربعة مراحل لحياة الطفل تبدأ الأولى بنمو مشاعره (الحب والثقة) عن طريق الاشباع الفسلجي الذي تزوده الأم وهي وهي ما يطلق عليها بمرحلة الطفولة المبكرة. أما المرحلة الثانية فتتميز بنمو شعوره في إدراك الأشخاص والأشياء ضمن

بيئته، وهو لا يزال في رعاية أمه، وهي ما تسمى بمرحلة الطفولة. وفي المرحلة الثالثة يصبح الطفل مستقلاً عن أمه نتيجة لزيادة قواه ومعرفته واستخدام الأشياء وارتباطه بالمجتمع المحلي، وهي ما تدعى بمرحلة الصبي، في حين تتميز المرحلة الأخيرة بتوسع مدى عمله، وفي الحاحه الشديد للتعرف على الأشياء والسيطرة على العالم، دون مساعدة أمه، وهي ما تسمى بمرحلة المراهقة.

وقد اعتبر بستالوتزي في تأكيده لهذا المبدأ رائداً من رواد الحركة النفسية في التربية في القرن التاسع عشر.

٢. إن التربية تعتبر من أهم وسائل اصلاح المجتمع وتغيير أحواله، بالشكل المطلوب. وينبغي للتربية أن تأخذ دورها في هذا التغيير. ويتأكد بستالوتزي لهذا المبدأ يعتبر أحد رواد الحركة الاجتماعية للتربية في القرن الذي عاش فيه.

لقد انتقلت فلسفة بستالوتزي وآراؤه وطرائقه التربوية إلى أمم عديدة وبخاصة، المانيا وفرنسا وانكلترا والولايات المتحدة الامريكية، فقامت هذه الدول بتطبيقها على المتعلمين فيها، كما إن أفكاره التربوية كانت مؤثرة في المانيا بشكل خاص، أكثر من غيرها من الدول.

مؤلفاته:

لبستالوتزي مؤلفات عديدة تناول بعضها المشكلات الاجتماعية وكيفية التغلب عليها باصلاح المجتمع، وركز البعض الآخر من مؤلفاته على الجانب التربوي، إذ اعتبر التربية أداة تغيير المجتمعات نحو الأفضل. ومن أهم مؤلفاته التربوية:

١. أمسيات ناسك الذي تضمن مجموعة من الحكم التربوية، والذي هاجم فيه اسلوب التعليم وطرائقه التي كانت سائدة آنذاك.

٢. "ليونارد وجيرترود" الذي تتمثل فيه آراؤه التربوية بشأن الأطفال باسلوب القصة الشعبية.

٣. " كيف تعلم جيرترود أطفالها".

٤. كتاب الأمهات.

٥. أغنية البجعة.

٦. مصيري.

آراؤه التربوية:

يمكن تلخيص أهم الآراء التربوية التي جاء بها بستالوتزي بما يلي:

١. ينبغي البحث عن أسس التربية ومبادئها داخل الطفل نفسه، وأن تبدأ عملية التربية من الطفل، لا أن تفرض عليه من الخارج.
٢. ينبغي تنمية استعدادات الطفل وقدراته الجسمية والعقلية والخلقية بصورة متساوية ومنسقة، نظراً لوجود علاقة بينها، إذ إن تنمية احداها تتوقف على الأخرى.
٣. ينبغي أن تكون المحبة أساس العلاقة بين المعلم وتلاميذه، وأن تكون الركيزة التي يبنى عليها النظام المدرسي.
٤. أن يعبر المتعلم عن الأشياء التي يراها بألفاظ من عنده.
٥. أن يراعى مبدأ التدرج في التعليم فيقدم الملموس على المجرد والسهل على الصعب والبسيط على المعقد تبعاً لمراحل نمو الطفل. فمثلاً ينبغي أن يعرف الطفل كيف يرسم قبل أن يكتب. وفي دراسة اللغة ينبغي أن تدرس الأسماء أولاً ثم الصفات وأخيراً الجمل.
٦. ربط التعليم كله بتعليم اللغة التي اعتبرها أساس الحضارة، وأنها وسيلة الوصول إلى الحقيقة، وهي (الهبّة) التي جعلت الانسان انساناً، إذ بدونها لا يتمكن الانسان من التعبير عن مشاعره، ولا من توطيد علاقات شخصية مع الآخرين.
٧. ينبغي تنمية المشاعر الخلقية في نفوس الطلبة عن طريق الطبيعة المحيطة بهم " وألا تكون التربية الخلقية مجرد حديث عن الدين والفضيلة، بل ايقاظ المشاعر الخلقية وترجمتها إلى أعمال جيدة عن طريق الممارسة.
٨. إن الغاية من التعليم في المرحلة الابتدائية هي تنمية قوى الطفل العقلية وتطويرها، وليس الحصول على المعرفة.
٩. أكد على مبدأ الفروق الفردية بين التلاميذ وضرورة مراعاتها في العملية التربوية.
١٠. ينبغي أن يمكث الطفل طويلاً عند كل جزء من أجزاء المعرفة حتى يسيطر عليه سيطرة تامة.
١١. ينبغي أن تبدأ التربية من العائلة، إذ " ليس باستطاعة المعلم، مهما كان جيداً ، أن يعمل شيئاً للطفل كما يفعله الوالدان الجيدان ". لأن في البيت تتكون الظروف الأفضل للتربية الجيدة المتوازنة، أكثر من أي مكان آخر.
١٢. أكد على ضرورة اللعب وأهميته في توسيع خبرات الطفل. واعتبر الألعاب الجمناستيكية وسائل أخرى للتربية العامة من النواحي الفسلجية والعقلية والأخلاقية، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن تدريب الأطفال الذكور على هذه الألعاب ينبغي أن يكون مختلفاً عن تدريب الأطفال الإناث.
١٣. ونظراً للظروف الاقتصادية والاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع السويسري آنذاك، فقد أكد بستالوتزي على أن تكون التربية العملية مختلفة تبعاً لاختلاف المستويات الاقتصادية والاجتماعية، فالأغنياء يجب أن تكون له تربية تختلف عن تربية الفقراء، وأن التدريب المهني لطفل البمدينة ينبغي أن يختلف عن طفل الريف وللعامل الزراعي غير ما يناله العامل في المصنع. وبكلمة أخرى ينبغي أن تكون هذه التربية منسقة مع الظروف الحقيقي للانسان.

١٤. يمكن أن يحدث الخير عن طريق الخير فقط. وأن الحب وليس الخوف هو الذي ينمي القلب، وبخاصة حب الأم الذي له تأثير كبير في نمو الطفل، وينبغي أن يكون هذا الحب حكيماً ثابتاً وليس ضعيفاً متساهلاً، إذ يستوجب على الأم مقاومة أنانية طفلها، وتعليمه كيفية التغلب على رغباته الحيوانية.

١٥. أما بالنسبة للمعلم، فقد أكد بستالوتزي على أن يكون المعلم صبوراً غير أناني، وأن يترك نمو الطفل وفقاً لقوانين الطبيعة وحرية الانسان، مثلما يفعل الفلاح عندما يترك البذور إلى قوانين فصول السنة.

١٦. يشير بستالوتزي إلى أن ما يميز الناس بعضهم عن بعض هو ظروفهم الاجتماعية وليست نوعياتهم الفطرية، لأن هذه الظروف لم تخلقها أو تصنعها الطبيعة، وإنما نمت وتطورت بمرور الوقت. وعليه يجب أن تؤخذ هذه الفروق بنظر الاعتبار في التربية بوجه عام والعملية التربوية على وجه التحديد.

ماكارنكو (١٨٨٨ م – ١٩٣٩ م):

ولد أنطون سيمونوفيش ماكارنكو في آذار من عام ١٨٨٨ م في مدينة بيلوبولية بمقاطعة خاركوف. وكان والده عامل دهان في السكك الحديدية. وبالرغم من الحالة المادية الضعيفة لعائلة ماكارنكو، إلا إن والديه تمكنا من تهيئة فرصة التعلم لابنهما، فقد تعلم ماكارنكو القراءة وهو في عمر الخامسة، وعندما بلغ الثانية عشرة أرسل إلى المدرسة الثانوية، حيث أمضى فيها ست سنوات، دخل بعدها في دورة إعداد المعلمين ليحصل على الدبلوم. وبعد تخرجه عين معلماً في مدرسة السكك الحديدية للأطفال في مدينة كريكوف. حيث قام بتدريس اللغة الروسية والرسم. وقد حرص ماكارنكو – منذ السنة الأولى من عمله – على تنظيم العمل المدرسي بالتعاون الوثيق والدائم مع أولياء امور الطلبة، وأن يخرج عن اطار التعليم الروتيني.

وفي خريف عام (١٩٢٠) قام ماكارنكو بإدارة وتنظيم مركز للأطفال المشردين بتفويض من قسم التربية العامة، ذلك المركز الذي اطلق عليه اسم الكاتب السوفيتي الكبير مكسيم غوركي. وقد نجح ماكارنكوفي المهمة الموكلة اليه وقدم للأطفال المركز برامج تربوية منظمة شملت التربية العامة والتربية السياسية، وأنواع مختلفة من التربية الفنية والبدنية. إضافة إلى العمل المنتج الذي يقوم به أطفال المركز.

وفي عام ١٩٢٧ عين ماكارنكو رئيساً لمركز جرجنسكي للأطفال المراهقين المشردين، واستمر عمله فيه حتى عام ١٩٣٥، حيث كرس كل نشاطاته لهذا المركز الذي زاد عدد طلبته على (٦٠٠) طالب. ونتيجة للجهود التي بذلها ماكارنكو في هذا المركز، فقد أصبح مؤسسة تربوية نموذجية تضم مجتمعاً موحداً.

لقد بنى ماكارنكو نظامه التربوي واختبره خلال السنوات التي قضاها في مركز غوركي. ذلك أن هذا المركز كان مختبراً تربوياً لنظامه. والمبدأ الاساس الذي استند اليه ماكارنكو هو ربط العمل المنتج بالتعليم. وإن التدريب العقلي والتربية البدنية الاخلاقية والتعليم البولوتكنيكي، ما هو إلا كل متكامل يهدف إلى نمو الشخصية بشكل سليم. كما ان ما يميز نظامه هذا هو دعوته

إلى عملية تربوية فعالة تتناول حياة الأطفال والمراهقين ونشاطاتهم المتنوعة، بدلاً من الاقتصار على العمل المدرسي.

وقد استطاع ماكارنكو خلال الأعوام الستة عشر التي قضاها بالعمل التربوي في مركزي (غوركي وجرجنسكي) أن يربي (٣٠٠٠) مواطن جيد، يعملون الآن في مواقع مرموقة وفي ميادين متنوعة، كمهندسين، وضباط في الجيش السوفيتي، وأطباء، ومدرسين، وممثلين... وغيرهم. وإضافة لكون ماكارنكو مدرساً له منزلة رفيعة، فقد كان منظرًا، ساهم بشكل رئيسي في علم التربية السوفيتية. حيث أخذ تعاليم (لينين) في التربية الشيوعية كنقطة بداية، وطور نظامه التربوي بما يتفق والنظرية الماركسية اللينينية، وصاغ أهداف التربية ورسالتها معتمداً على المذهب الماركسي اللينيني، وقال بهذا الخصوص: " نريد إعداد العامل السوفيتي المثقف، لذلك يجب أن نقدم له تعليم المدرسة المتوسطة بقدر الإمكان، ويجب أن تقدم له أهلية مهنية، يجب أن نعلمه النظام، يجب أن يكون ذا وعي سياسي، وأن يصبح عضواً مخلصاً للطبقة العاملة، وعضواً في منظمة الشبيبة، وشيوعياً، يجب أن ننمي فيه حسن الواجب وفكرة الشرف.

وتمكن ماكارنكو من معالجة المشكلات التربوية من وجهة النظر الفلسفية للمادية الديالكتيكية. ووفقاً لما يراه ماكارنكو، فإن المنطق التربوي يحدد بالأهداف التربوية التي تتغير بتغير المجتمع. وفي ذلك يقول: " ان هدف العمل التربوي ينبثق من حاجاتنا الاجتماعية ومن مطامح الشعب السوفيتي ومن أهداف الثورة ورسالتها".

ويعتبر ماكارنكو مبتكراً لطريقة أصيلة في الأسس المنهجية لعلم التربية، ولنظرية الضبط ونظام بناء الشخصية، ووضع أهمية كبيرة على التربية البيئية. فقد أدرك بأن هناك تأثيرين رئيسيين على الطفل، لا سيما في السنوات الأولى من تنشئته، هما "البيت والمدرسة".

لقد استمد ماكارنكو أفكاره التربوية من معتقداته الاجتماعية والفلسفية. والتربية - من وجهة نظره - ليست فعالية أولية، إنما هي عملية مستمرة ومعتمدة على مقدمات فلسفية. وهذه المقدمات لم يستمد ماكارنكو من ذاته، بل هي موجودة في ذات النظام الهيكلي الماركسي للثورة.

ولماكارنكو اليوم شهرة عالية في الاتحاد السوفيتي، باعتباره كاتباً للروايات والمقالات والقصص، وقد عرفته الملايين، لا سيما في أعماله الجدية المخصصة لمشكلات تربية الطفل، ومشكلات البيت، والعلاقات العائلية، وحظى باحترام المربين السوفيت المعاصرين.

مؤلفاته:

من أهم المؤلفات التي قدمها ماكارنكو خلال فترة حياته التربوية ما يلي:

١. قصيدة تربوية.
٢. الرايات فوق الأسوار.
٣. مشكلات التربية المدرسية السوفيتية.
٤. طريقة تنظيم العملية التربوية.
٥. أحاديث حول الأطفال.

٦. كتاب الآباء.
 ٧. طريق الحياة أو ملحمة التربية.
 ٨. مسيرة عام ١٩٣٠.
- أما كتاب " طريقة التربية الشيوعية " فقد حالت وفاته دون إكماله.

آراؤه التربوية:

١. أولى ماكارنكو أهمية كبيرة إلى الزيارات والرحلات السياحية لمناطق مختلفة من الاتحاد السوفيتي، واعتبرها من النشاطات التربوية الهامة التي تنمي لدى الطلبة حب الوطن والاعتزاز به.
٢. ينبغي تعويد الطلبة على الصبر وتحمل المشاق، وتنمية قابليتهم في القدرة على تخطي الصعاب والتغلب عليها.
٣. اعتبر اللعب عاملاً مهماً في حياة الأطفال ونشاطاتهم، وأكد على ضرورة قيام جماعة الأطفال بالألعاب المنظمة والموجهة، وأشار إلى أن " جماعة الأطفال التي لا يلعب أطفالها ليست جماعة أطفال حقيقية " .
٤. إن عملية تنظيم مجتمع الأطفال، ومساعدتهم على الإدارة الذاتية، من أهم الوظائف الأساسية التي ينبغي أن يقوم بها المربون، وفي مقدمتهم مدير المدرسة.
٥. ينبغي على المربي مساعدة الطفل على فهم الكون، ومعرفة أساليب توجيه جوانب النمو المختلفة لدى الطفل.
٦. اعتبر مهمة المعلم التربوية من المهام الصعبة والمعقدة، ذلك أنه أمام أفراد يختلفون في ميولهم وقدراتهم وقابلياتهم ومستويات نموهم الخاصة، فلا بد من مراعاة ما بين الطلبة من فروق خلال العملية التربوية.
٧. ينبغي على المربي أن يتقن طريقة التربية إلى جانب اتقانه طريقة التعليم.
٨. يجب أن تستمد طرائق التربية وأساليب التعليم من الخبرة، كما ينبغي أن تخضع لأهداف سياسية واجتماعية راقية.
٩. إن دمج العمل المنتج والتعليم والتربية السياسية هو أساس العملية التربوية ومحور حياة الانسان.
١٠. ينبغي على المربي عدم اللجوء إلى العقاب، فالمربي الجيد هو الذي لا يعاقب ذلك أن العقوبة ليست مجدية إلى درجة كبيرة. ولكن في الحالات التي يستوجب فيها العقاب فينبغي على المربي أن لا يحجم عنه. فالعقاب حق وواجب في الحالات التي لا يمكن الاستغناء عنه، وكذلك في الحالات التي ينفع فيها استخدامه. كما ينبغي ألا يكون في العقاب أي تعذيب جسدي أو معنوي، وأن يكون مريباً، وأن يعلم المذنب أسباب عقابه ويفهم معنى العقاب. وقد حذر ماكارنكو من الإكثار من العقوبات لأنها عندئذٍ تفقد قيمتها.
١١. ينبغي غرس عادات الضبط في الأطفال، والتأكيد على القيمة السياسية للضبط، باعتباره جزءاً هاماً من التربية السياسية العامة.

١٢. أكد ماكارنكو على العمل والجماعة والشخصية، واعتبرها نقاطاً أساسية في نظامه التربوي.

١٣. اعتبر " التطلعات والامال " أحد المبادئ الرئيسية في التربية السوفيتية. " فالإنسان لا يستطيع الحياة في هذا الكون إذا لم يتطلع إلى شيء جذاب، وأن الحافز الحقيقي للحياة الإنسانية هو فرح الغد. وتربية الإنسان تعني خلق تطلعات لديه ينتظم حولها فرح الغد".

١٤. إلى جانب تأكيد ماكارنكو على العقوبات، فقد احتلت المكافآت التشجيعية مكاناً بين مختلف الأساليب والوسائل التربوية. وأشار إلى أن نجاحها تربوياً لا يتم إلا إذا جرت بروح من الثقة بالفرد. كما ينبغي أن تكون المكافآت نادرة قدر المستطاع، وأن تستعمل بحكمة ودراية.

١٥. من الصفات الأساسية التي ينبغي توافرها في المربي هي حسن الاتجاه وضبط النفس والثقة بالنفس، والقدرة على ممارسة التأثير الفعال في جماعة الأطفال لكي تضمن نجاح العملية التربوية في تحقيق أهدافها.